٨٨

الملايين الاربعة

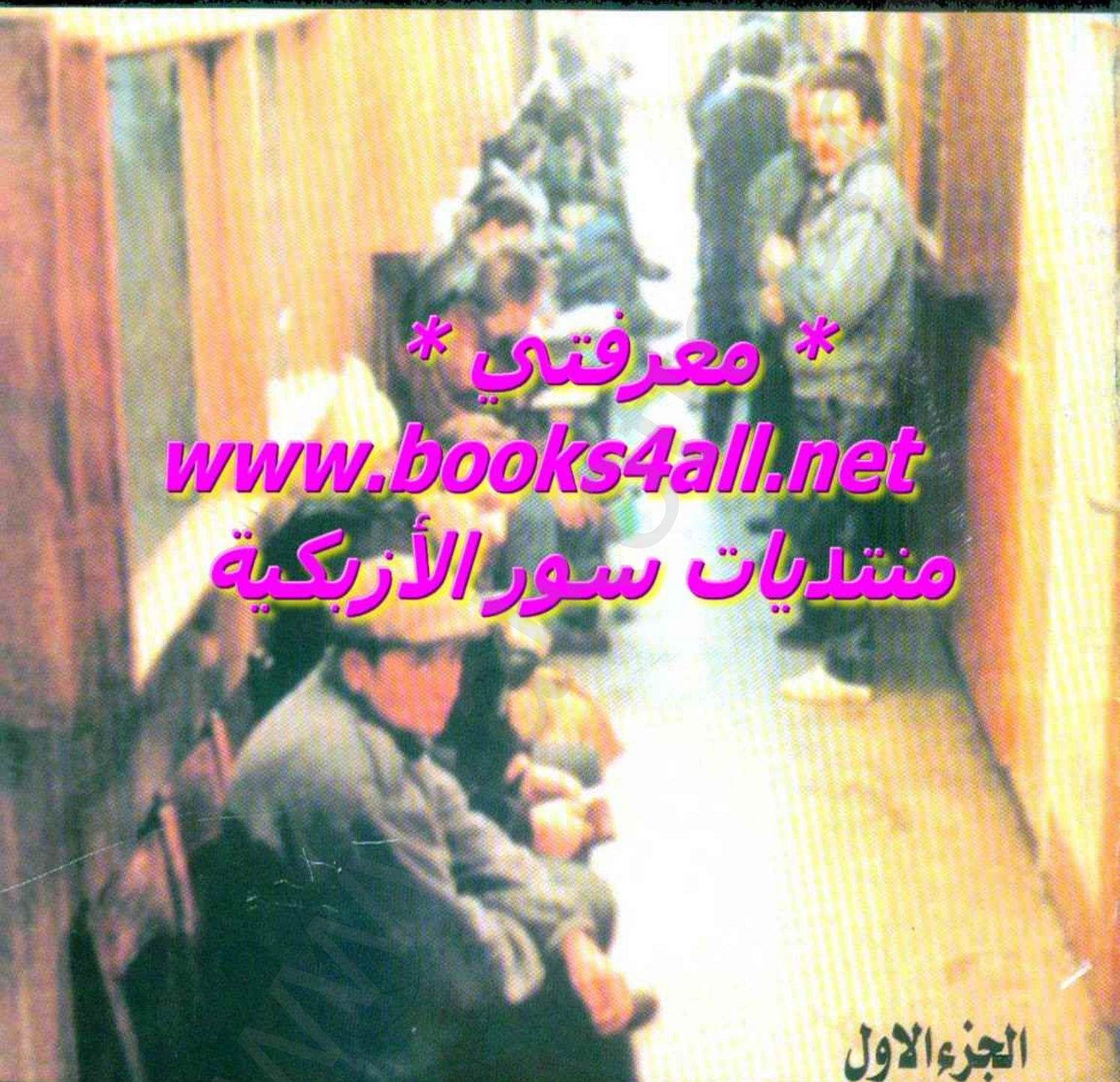

* معرفتي *
www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

الجزء الاول

قصص أمريكية قصيرة

تأليف : او.هنرى
ترجمة : د.سعيد عبده

جريدة القاهرة

القاهرة

■

رئيس مجلس الإدارة

فاروق عبد السلام

رئيس التحرير

صلاح عيسى

تصميم الغلاف: محمد الغول

■

جريدة اسبوعية ثقافية عامة

تصدر كل ثلاثاء عن وزارة الثقافة

الادارة والتحرير:

٩ شارع حسن صبري - الزمالك -

القاهرة. جمهورية مصر العربية

هاتف: ٢٧٣٧٣٠٤١

فاكس: ٢٧٣٧٣٠١٨

Email: alqaheranews@yahoo.com

الكتاب للجميع

www.alkottob.com

www.alkottob.com

سلسلة شعبية تعيد إصدارها

دار المدى للثقافة والنشر

رئيس مجلس الادارة والتحرير
فخري كريم

الاشراف الفني
محمد سعيد الصكار

سورية - دمشق ص. ب: ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦ فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy
لبنان - بيروت - الحمراء - شارع ليون - بناية منصور - الطابق الأول
تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb
العراق - بغداد - أبو نواس - محلة ١٠٢ - زقاق ١٣ - بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
almadapaper.com
almada112@yahoo.com almada119@hotmail.com

الكتاب العربي

سلسلة كتب شهرية توزع
مجاناً مع الصحف التالية

القاهرة (مصر)
السفير (لبنان)
الأيام (البحرين)
القبس (الكويت)
البيان (الإمارات)
المدى (العراق)
الثورة (سورية)
الاتحاد (العراق)
الحياة (السعودية)

الهيئة
الاستشارية

المنجي بو سنينة
تركي الحمد
جابر عصفور
خالد محمد احمد
خلدون النقيب
سيد ياسين
طلال سلمان
علي الشوك
فؤاد بلاط
محمد برادة

www.alkottob.com

الكتاب للجميع

٨٨

أو. هنري

الملايين الأربعة

الجزء الأول

ترجمة: د. سعيد عبده

دار المدى للثقافة والنشر
٢٠٠٤

الطبعة الاولى
١٩٥٤

www.alkottob.com

تمهيد

أعترف أني لم أكن قرأت شيئاً من قصص «أو . هنري» مؤلف هذا الكتاب ، قبل أن يعهد إلي في ترجمته ، اللهم إلا قصة وقعت لي عفواً في بداية حياتي ، فحاولت أن أقرأها ، فأعيتني لغتها ، واستعصت علي ، فرميت الكتاب من يدي ، ولم أعد إلى هذه التجربة قط .

وعندما عهدت إلي «مؤسسة فرانكلين» كتاب «الملايين الأربعة» لأترجمه ، عاودتني هذه الخشية القديمة من وعورة «أو . هنري» ، واستثقلت المهمة ، وكدت أرفضها ، لولا أني عندما قرأت قصة «هدايا المجوس» عرضا ، ثم عدت فدرستها دراسة مترجم ، ألفيت نفسي أمام عملاق من عمالقة القصة القصيرة ، تلذ التلمذة عليه وتفيد .

وتابعت قراءة الكتاب ودراسته في لهفة وتشوق ، ووقفت طويلاً أمام تلك الجمل القصار العامرة بالحياة والعاطفة ودقة التصوير ، عمرانها بألوان الاستعارة والكناية والتشبيه التي أولع بها أو . هنري ، والتي تبدو في بعض حالاتها ، وفي بداية أمرها ، بالنسبة للقارئ غير الضليع في اللغة الأمريكية ، أشبه ما تكون بالأحاجي والألغاز ، فإذا استوعبها القارئ تكشفت له عن روائع .

وهالتني لأول وهلة تلك المفاجآت التي يعمر بها أو . هنري معظم قصصه ، فينتقل بك من صورة إلى صورة ، ومن معنى إلى آخر ، لا يبدو أن بين أحدهما والآخر أي ارتباط ، فإذا مضيت في القراءة قليلاً ، بدأ شعاع من نور باهر يشرق على تلك الصور والمعاني المتفرقة ، فيؤلف من مجموعها هيكلاً فنياً رائعاً منسجماً لقصة بديعة من قصص الحياة ، تكاد ترى لون الدم في عروقها النابضة .

www.alkottob.com

إن الملايين الأربعة ليست عنوان قصة من قصص هذا الكتاب ، وإنما هي الرقم الذي يدل على سكان نيويورك ، في بداية هذا القرن ، أو في عقده الأول على التقريب ، حيث عاش أو . هنري أخصب ثماني سنوات من حياته القصيرة ، وحيث بلغ الأوج من مجده الأدبي ، وحيث استوحى قصص هذا الكتاب من حيطان السفن الغارقة أو المشرفة على الغرق في هذا الخضم البشري المتلاطم .

***

ولد أو . هنري سنة ١٨٦٢ ، بولاية كارولينا الشمالية ، ومات سنة ١٩١٠ ، ولم يلمع ككاتب قصصي إلا سنة ١٩٠٢ . أما الأربعون عاماً التي مرت من عمره قبل ذلك ، فقد قضاها في قطاف التجارب التي ترى آثارها في كتاباته ، من حقل المحن والمآسي التي صادفها في الحياة .

ماتت أمه بالسل وهو في الثالثة من عمره .

ووقف تعليمه في الخامسة عشرة ، ولكن عمته التي كانت تدير مدرسة حرة حفزته على القراءة ، على قراءة القصص بنوع خاص ، وهيأ له عمه وسيلة للعمل في مخزن كان يملكه لبيع العقاقير .

واشتغل رساماً في مصلحة الأملاك ، وكان زملاؤه يتوقعون له مستقبلاً في التصوير الكاريكاتوري .

ثم تزوج من فتاة مات أبوها بالسل ، وكان مقرراً أن تموت هي الأخرى في بضع سنوات .

ومات أول طفل أنجباه .

وفشلت محاولة قام بها لانشاء مجلة أسبوعية فكاهية .

واشتغل صرافاً في بنك ، فظهر في حساباته عجز وصل إلى ألف دولار ، فطرد ، وحوكم بعد سنوات ، ففر من المحاكمة .

واضطره مرض زوجته إلى العودة ، فضبط ، وأعيدت محاكمته ، واتخذ قراره قرينة عليه ، فسجن بضع سنوات .

وبدأ في السجن كتابة قصصه الرشيدة ، التي كان يمزج فيها بين تجاربه وما يتلقفه من أفواه السجناء .

www.alkottob.com

ولم تجد هذه القصص طريقها إلى الصحافة إلا في سنة ١٨٩٩ ، وهو يعيش في إحدى الغرف المفروشة الحقيرة ، التي يجد القارئ في قصص هذا الكتاب وصفاً لمثيلاتها في نيويورك ، فعرضت عليه إحدى صحف هذه المدينة دخلاً ثابتاً إذا قدم إلى نيويورك ، فنزح إليها في ربع ١٩٠٢ .

***

وما تبع ذلك كان قصة نجاح فذ أشبه ما تكون بالأساطير .

ففي أقل من ثماني سنوات أصبح أو . هنري أكبر قصاص مقروء في أمريكا ، وسبى ألباب قرائه بقصصه التي التقط أكثر أفكارها من الأزقة المنسية ، والغرف المفروشة في أحقر بيوت الكراء .

ومن أشهر كتبه في هذه السنوات الثمان : «الكرنب والملوك» و«الملايين الأربعة» ، وأصدر في ١٩٠٧ «المصباح المزركش» و«قلب الغرب» وفي ١٩٠٨ «صوت المدينة» وفي ١٩٠٩ «طرق المقادير» ، و«العروض» وفي ١٩١٠ «عمل ليس إلا» ، و«أعاصير» ، وصدرت له بعد وفاته كتب «البستاني الرقيق» ، و«الحجارة الدوارة» و«أبناء السبيل» .

***

سئل أو . هنري ذات مرة وهو يجلس في مطعم مع بعض الصحفيين : «من أين يستمد أفكار قصصه» فقال : «من كل مكان ، فقلما تجد شيئاً لاينطوي على قصة» . وأمسك بقائمة الطعام في يده ، وقال : «إليكم هذه القائمة مثلاً ، ان من الممكن أن تجدوا قصة وراء حروفها الخرساء» . ثم راح يضع الخطوط الرئيسية لقصته : «ربيع تحت الطلب» المنشورة في هذا الكتاب .

إن طريقته في القصة أن يمسك بالشيء التافه المألوف في الحياة ، فيمزج بينه وبين تجربة من تجارب حياته الخاصة ، ثم يضفي على هذا المزيج بعض الألوان من ريشته الفلسفية المازحة ، فإذا بالشيء التافه المألوف يستحيل إلى خلق جديد ، وإذا الصدفة الفارغة المهملة على

www.alkottob.com

ساحل الحياة ، قد عمرت - من حرارة أنفاسه ، وعواطف قلبه الوديع - بلؤلؤة تحار في جمالها الألباب .

***

لقد قال عنه أحد معاصريه إنه كان شخصاً أشبه ما يكون بالطفل ، قليل الحيلة ، مبرأ من كل دوافع الغدر والخداع .

وقال عنه آخر : إنه كان رصيناً هادئاً ممتلئ القلب بالرحمة ، يهوى التجول ليلا في المدينة ليدرس عن كثب وجوه الناس ، ويستبيه الجلوس في مطعم ما في رفقة صديق لا يتكلم .

ولعل المرض الذي استودعته أمه اياه ، يوم ماتت عنه ، وهو طفل شاحب هزيل ، والذي اخترمه في ريعان العمر وفي السابعة والأربعين ، كان له فضل كبير في تلك اللمحة الإنسانية المشرقة التي تسطع من قصصه جميعاً ، وتجعل منها متحفاً للحياة في وقته ، تكاد تنطق وتتحرك فيه المدى والتماثيل .

لقد تقاضى أو . هنري عن إحدى قصصه ٢٥٠ ريالاً ، واشترى منه حق تحويلها إلى مسرحية بخمسمائة ريال ، وكسب منها الذي حولها إلى المسرح مائة ألف ريال! . . وسبحان من قسم الحظوظ .

إن مرارة تجارب أو . هنري في الحياة ، وعاطفته الإنسانية الشفافة ، وإيمانه الراسخ في المقادير والمصادفات ، واقتصاده العجيب في كسو المعاني الضخمة بأبسط وأقل الجمل والألفاظ ، كل هذا يضفي على قصصه روحاً تمنحه بجدارة لقب المعلم في فن القصص القصير .

سعيد عبده

www.alkottob.com

الشرطي والأرغن

تقلق سوبى على دكته في ميدان ماديسون . وعندما يعلو ثغاء الأوز ليلا ، وعندما تصبح النساء اللائي لا يملكن معاطف الفرو أشد ترفقاً بأزواجهن ، وعندما يتقلق سوبى على دكته في المتنزه العام ، فاعلم أن الشتاء على الأبواب .

ووقعت ورقة ذاوية في حجر سوبى ، فكانت ايذانا بمقدم فصل الجليد . إن هذا الفصل رءوف بالنزلاء الدائمين لميدان ماديسون ، يتلطف في انذارهم بمقدمه كل عام . وعلى نواصي الشوارع المتقاطعة يسلم بطاقته لريح الشمال الباردة ، وهي وصيفة قصر الخلاء ، حتى يتأهب للقائه نزلاء هذا القصر .

وأدرك سوبى الحقيقة الواقعة أنه قد آن له أن يحيل نفسه على لجنة فوق العادة من لجان الطرق والوسائل ، لتدبر له أمر الهول المقبل . ومن أجل ذلك تقلق في مقعده .

إن مطامع سوبى المستكنة لم تكن شامخة ، فما كان بها موضع لنزهة في البحر المتوسط ، أو إغفاءة تحت سماء الجنوب ، أو رحلة في خليج فيزوف . إن روحه كانت ظمأى إلى قضاء ثلاثة أشهر في الليمان ، ثلاثة أشهر يضمن فيها المأكل والمنام ، والرفقة الصالحة ، والنجاة من ريح الشمال وأصحاب الكسى الزرقاء ، وقد بدت لسوبى هذه الأشهر الثلاثة كصفوة ما ينشد من آمال .

كان سجن بلاكويل مشتاه منذ سنوات ، وكما كان السعداء من مواطنيه النيويوركيين يتأهبون الرحيل إلى بالم بيتش والريفييرا كل شتاء ، كان سوبى يهيئ خططه المتواضعة لهذه الهجرة السنوية إلى الليمان . وها هوذا الوقت يأزف ، فقد فشلت في الليلة السابقة ثلاث من صحف يوم السبت المسائية ، تلفع بها تحت سترته وحول كعبيه وفوق خصره ، في حمايته من البرد ، وهو

www.alkottob.com

راقد فوق دكته ، على مقربة من النافورة المتدفقة في الميدان العجوز . لذلك لاح السجن في خاطر سوبى فخما وفي أوانه . لقد كان يزدري ما يقدم من عون لفقراء المدينة باسم الاحسان . والقانون في رأيه كان أرحم بهم من هذا الجود . وعلى أن المدينة بها عدد لا حصر له من الملاجئ البلدية والخيرية ، وكان في استطاعته أن يستضيف أحدها وينال المأوى والطعام الصالحين لحياة بسيطة فإن كبرياء سوبى أنفت من هذه الصدقات . فأنت وان لم تؤد بالدرهم ثمن ما تأخذ من هذه الملاجئ ، فانك لابد مؤد بالذل والمهانة ثمن كل مزية تنالها من أيدي المحسنين . وكما ابتلى قيصر ببروتس فان كل سرير من أسرة الصدقات يبتلى بضريبة الاستحمام ، وكل رغيف من الخبز لا ينال بغير استجواب عن المسائل الشخصية والخصوصيات . ومن أجل ذلك كان السجن خبيراً وأبقى ، لأن السجن وان أخضع لبعض القيود نزيله الفاضل ، فانه لا يتدخل في أموره الشخصية .

ومنذ عقد سوبى عزمه على الذهاب إلى السجن بادر بالتأهب لتحقيق بغيته ، وعلى تعدد ما يؤدى لهذا الغرض من وسائل ، فقد كان ألذها لديه أن يتعشى عشوة فاخرة في مطعم كبير ، ثم بعد أن يشهر افلاسه ، يسلم نفسه للشرطة بوقار ودون حاجة إلى هياج ، وعلى القاضي أن يقوم بما تبقى .

وترك سوبى الدكة وبارح الميدان ، عابراً هذا البحر المنبسط من الاسفلت إلى حيث يلتقي الشارع الخامس بشارع برودواي ، فصعد في شارع برودواي حتى وقف على مطعم يتلألأ بالأنوار ، ويضم كل ليلة صفوة ما تنتج الكروم ، ودود القز ، والمادة الحية في الأجسام .

كان سوبى مطمئناً إلى مظهره من أدنى زرار في صداره إلى قمة رأسه ، فوجهه حليق ، وسترته لائقة ، وربطة عنقه النظيفة السوداء ذات العقدة الثابتة مهداة إليه من راهبة عيد الشكران . ولو أنه استطاع الوصول إلى مائدة في المطعم ، لنجح نجاحاً لا ريب فيه ، لأن الجزء الظاهر منه فوق مستوى المائدة لن يبعث الشك إلى نفوس النزول . وجال في خاطر سوبى أن بطة مشوية تفي بالغرض إذا آزرتها زجاجة النبيذ ، وقطعة من الجبن الأصفر وقدح من القهوة ، وسيجار يكفي فيه أن يكون بدولار . ومن ثم فلن تبلغ جملة التكاليف مبلغاً

www.alkottob.com

يثير حفيظة الإدارة ، ويدفعها إلى اتخاذ إجراء شاذ . ويكون قد التمس من اللحم في نفس الوقت شعوراً بالشبع والسعادة يهيئه لرحلته إلى منفاه .

ولكن سوبى لم تكد قدمه تطأ داخل المطعم ، حتى وقعت عين رئيس الندل على بنطلونه المهلهل وحذائه البالي ، وسرعان ما كانت أيد قوية متأهبة ترده القهقرى إلى عرض الطريق في سرعة وسكون ، وتغير ما كان يتوقع للبطة في مصير ذليل .

وانصرف سوبى عن برودواي بعدما اتضح له أن سلوك هذا السبيل الابيقوري لن يصل به إلى السجن المرموق ، وأن عليه أن يفكر في وسيلة أخرى للدخول .

وكشفت له الأنوار الكهربائية ، والسلع المعروضة بخبث وراء ألواح الزجاج ، عن معرض حانوت في ناصية من نواصي الشارع السادس ، فالتقط سوبى حجراً وقذف به الزجاج فحطمه ، وتراكض إليه جمع من الناس على رأسهم شرطي ، فوقف سوبى هادئاً ، واضعاً يديه في جيوبه ، باسماً لمرأى الزرائر الصفراء .

وقال الشرطي في قلق : « من فعل هذا ؟ »

قال سوبى : « ألا يمكن أن تستنتج أن لي علاقة بالموضوع ؟ »

ولكن الشرطي رفض أن يتقبل سوبى حتى كدليل . فإن الذين يحطمون زجاج المعارض التجارية ، لا يقفون للتحدث مع حماة القانون ، وإنما يولون الادبار . ولمح الشرطي رجلاً يجري عن كثب ليلحق بسيارة أوتوبيس ، فأشهر عصاه وهب للطراد ، وانصرف سوبى والغيظ مالئ قلبه من فشله مرتين .

ووجد على الجانب المقابل من الطريق مطعماً جم التواضع ، فيه شبع للشهوات الجشعة والمحافظ الخاشعة ، ثقيل الأدوات والجو ، خفيف المفارش والحساء ، فاحتمل سوبى حذاءه الداعي إلى التهم ، وبنطلونه الراوية عن قصص الزمان ، ويمم إليه آمناً شر التحدي . وجلس إلى مائدة ، وأكل لحماً وكعكاً ، وفطائر وحلوى ، ثم اعترف للخادم بأنه هو والدانق نقيضان لا يلتقيان ، وقال :

– « هيا الآن واستدع شرطياً ، ولا تدع سيداً فاضلاً ينتظر »

وقال الخادم بصوت منتفش وعين أشبه ما تكون بكرزة في كأس من كوكتيل مانهاتن :

www.alkottob.com

– لا شرطي لمثلك . . . هيلا هوب!

وبخفة قذف به خادمان إلى الطوار الحجري ، فارتمى منبطحاً على أذنه اليسرى ، ومن ثم تماثل للنهوض قطعة قطعة كما ينفتح متر النجار ، وراح ينفض عن نفسه التراب ، وخيل إليه أن القبض عليه أصبح كالحلم الجميل ، وأن السجن يتناءى عنه إلى أبعد مما كان ، وضحك منه شرطي كان يقف على مدخل مطعم على مسافة بابين ، وتولى إلى سبيله .

وقطع سوبى خمس نواص من الطريق قبل أن تثوب إليه جرأة التفكير في طريقة للقبض عليه من جديد . وفي هذه المرة أتيح له ماهيأه الوهم انه فرصة فريدة ، فقد وجد امرأة فتية تقف على معرض حانوت ، مرتدية ثياباً جذابة متواضعة ، وتشخص بشغف شديد إلى المحابر ومصابن الحلاقة المعروضة ، وقد وقف على بعد مترين منها شرطي ضخم متجهم الأسارير ، متكئ على سدادة صنبور من صنابير الحريق .

ودار في خلد سوبى أن يلعب دور المتيم الخسيس الممقوت ، وشجعه منظر فريسته الأنيق الرشيق ، وقرب الشرطي الواعي ، على الاعتقاد بأنه لن يلبث حتى يحس قبضة القانون الحلوة مطبقة على عضده ، كافلة له الذهاب إلى مشتاه الحبيب .

وعدل سوبى ربطة عنقه الثابتة العقدة والمهداة له من الراهبة ، وأخرج أساور القميص من حيث انكمشت تحت الأكمام ، وأمال قبعته إلى زاوية قاتلة ، وتنحنح ، ثم ابتسم وغمز بعينه ، واندفع برقاعة إلى وقاحة المتيم السليط ، والشرطي – كما رآه سوبي بركن عينيه – يرقبه لا يريم . وتحركت الفتاة بضع خطوات ، ثم عادت إلى مصابن الحلاقة تركز عليها اهتمامها المستغرق ، فتبعها سوبى وخطا إلى جانبها بجرأة ، ورفع قبعته قائلاً :

– « أنت يا بادليا! ألا تحبين أن تصحبيني لنلعب معاً في ساحة بيتي ؟ »

وكان الشرطي ما زال يتبعه بعينه ، وما كان على الفتاة المطاردة لو شاءت إلا أن تشير بأصبعها ، فينال سوبى كل بغيته من مشتاه ، وتصور فعلاً أنه يحس الدفء اللذيذ في مركز الشرطة سارياً في أوصاله . بيد أن الفتاة واجهته ملقية إحدى يديها على كمه ، وقالت له في ابتهاج :

www.alkottob.com

– «بالتأكيد يا مايك ، إذا كان في قدرتك أن تعطيني حماماً مملوءاً برغوة الصابون . . لقد كنت على وشك أن أجاذبك الحديث من نفسي ، لولا أن رأيت الشرطي ينظر إلينا» .

واجتاز سوبى موقف الشرطي ، والفتاة متعلقة بذراعه تعلق اللبلابة بشجرة البلوط ، وهو غارق في اليأس كأنه محكوم عليه بالحرية .

وعند الناصية التالية نصل من رفيقته ، وفر منها راكضاً ، لم يقف إلا في الحي الذي تتلألأ الأنوار فيه بالليل ، وتخف القلوب ، والعهود والأغاني ، وتطفر النساء بفرائهن ، والرجال بمعاطفهم ، مرحين في برد الشتاء . . . واستبد بسوبى ذعر مفاجئ من أن تكون رقية مروعة قد زودته بمناعة من القبض عليه!! وجال هذا الخاطر في نفسه محفوفاً بآثاره من العذاب . وعندما قادته قدماه إلى شرطي آخر يسترخي بوقار أمام مسرح يتلألأ بالأضواء ، قام في نفسه بغتة أن يتعلق تعلق الغريق بقشة «الفعل الفاضح»!

ومن حيث وقف في منعطف الطريق بدأ سوبى يصرخ صراخ الثمل بأعلى طبقة من صوته الخشن ، ثم راح ينبح ويهذي ، ويقلق حتى سكان السماء .

وهز الشرطي عصاه ، ثم أدار ظهره لسوبى وقال لشخص ما مر به :

– «إنه صبي من صبيان جامعة ييل يحتفل ببيضة الأوزة التي يمنحونها لكلية هارتفورد . يضوضى ، نعم ، ولكنه لا يؤذي ، ولدينا أوامر بتركهم أحراراً» .

وشف سوبى الأسى ، فكف عن عربدته غير المجدية ، وساءل نفسه : أما من شرطي يقبض عليه ؟ وخيل إليه أن السجن أصبح جنة لا سبيل إليها ، وزر سترته الرقيقة ليدرأ بها عن نفسه الزمهرير .

وفي أحد حوانيت السجائر رأى رجلاً أنيق الثياب يشعل سيجاراً من شعلة تتراقص ، وقد ترك مظلته الحريرية بجوار الباب عندما دخل . فاقتحم سوبى الحانوت ، وأخذ المظلة ، ومشى يتسكع بها على مهل ، فجرى وراءه الرجل بالشعلة ، وصاح به في جفاء :

– «هذه مظلتي!»

وقال سوبى في تهكم أضاف فيه الوقاحة إلى هذا الاختلاس الصغير :

www.alkottob.com

– « آه! أتظنها كذلك ؟ حسناً فلم لا تستنصر الشرطي . إني أخذتها . أخذت مظلتك! فلم لا تستغيث ؟ ها هو ذا شرطي على ناصية الطريق » .

وطامن صاحب المظلة من خطاه ، وكذلك فعل سوبى ، يخالجه شعور خفى أن الحظ سيعاود الوقوف في سبيله . . وتطلع الشرطي فيهما بفضول . .

قال صاحب المظلة :

– « طبعاً . . هذه كثيراً ما تحدث مثل هذه الأخطاء . وآمل ما دامت مظلتك أن تعذرني ، فقد أخذتها من المطعم في الصباح ، وما دمت تبينت فيها مظلتك ، فأرجو أن . . . »

قال سوبى في خبث :

– طبعاً هي مظلتي!

وانسحب صاحب المظلة السابق ، وأسرع الشرطي ليعين شقراء فارعة ، تلبس معطف سهرة فاخراً ، على عبور الشارع أمام سيارة أوتوبيس مقبلة من بعيد .

ومشى سوبى شرقاً في طريق عامر بحفائر الاصلاح ، فرمى المظلة محنقاً في حفيرة منها ، ولعن حاملي العصى ولابسي الخوذات ، أولئك الذين يحسبونه – لأنه يشتهي الوقوع في قبضتهم – ملكاً معصوماً ، ذاته لا تمس .

ووصل سوبى في النهاية إلى شارع من شوارع المدينة الشرقية خبا فيه الضوء ، وهدأت الحركة ، فمشى فيه صوب ميدان ماديسون ، لأن غريزة المأوى تحيا ولو كان البيت دكة في متنزه عام .

ولكن قدميه كفتا عن الحركة تماماً عندما أتى ركناً استتب الهدوء فيه على حال غير مألوف ، وكانت ثمة كنيسة قديمة ، غريبة الطراز ، كثيرة المنحنيات ، هرمية السقف . ومن خلال الزجاج البنفسجي المصدوع في إحدى نوافذها ، لاح ضوء ضئيل ، من حيث كان عازف الارغن دون شك ، يغازل مفاتيح النغم فيه بهدوء ، ليستوثق من قدرته على عزف نشيد السبت المقبل ، فقد استقبلت أذن سوبى انغاماً حلوة ملكت عليه لبه ، وسمرته في تعاريج السياج الحديدي .

كان القمر مشرقاً يتلألأ في صفاء ، والسيارات والمشاة ندرة في الطريق ،

www.alkottob.com

والعصافير تزقزق غافية على أطناب البناء ، وكاد المنظر ينم عن كنيسة قروية . ولقد شد اللحن الذي كان يعزفه عازف الارغن سوبى إلى السياج شداً ، لأنه عرف هذا اللحن يوم كانت تعمر حياته تلك الأشياء التي تسمى الأمهات ، والورد ، والطموح ، والأصدقاء ، والأفكار ، والأوشحة النظيفة .

واستطاع اختلاط هذه الحالة العقلية المتفتحة ، بالمؤثرات التي هزت نفس سوبى من الكنيسة القديمة ، أن تحدث في روحه تطوراً فجائياً عجيباً ، عرض فيه تحت ومضة من ومضات الذعر الهوة التي تردى فيها ، وأيام الهوان ، والشهوات الدنيئة ، والآمال الميتة ، والمواهب المصدوعة ، والنزوات الوضيعة التي تألف منها وجوده . . .

وفي لحظة كذلك استجاب قلبه بعنف لهذا الشعور الجديد ، وثارت في نفسه نزعة جارفة مباغتة لمصارعة حظه المغرق في القنوط . إنه سيجذب نفسه من الوحل ، وسيقهر نوازع السوء التي ملكت قياده . . وما زال في الوقت متسع ، وفيه بقية من شباب . . وسيبعث من أكفانها مطامع صباه الوثابة ، ويجاهد في سبيلها بلا تعثر . إن ألحان الأرغن الحلوة الخاشعة قد أنشبت فيه ثورة ، وسيذهب غداً إلى حي المدينة الصاخب يبحث فيه عن عمل . لقد عرض عليه مستورد للفراء ذات يوم أن يعمل له سائقاً ، وسيجده في الغد ، ويلتمس منه أن يلحقه بهذا العمل ، وسيصبح كائناً له أثره في الحياة وسيكون . . .

وأحس سوبى بيد توضع على ساعده ، فتلفت على عجل ، فوقع بصره على وجه عريض ، وجه شرطي يسأله :

– « ماذا تصنع هنا ؟ »

قال سوبى : « لا شيء »!

قال الشرطي : « إذن فتعال معي »

وقال قاضي المحكمة في صباح اليوم التالي : « ثلاثة أشهر في الليمان! »

www.alkottob.com

هدايا المجوس[1]

كان كل ما معها دولاراً وسبعة وثمانين دانقاً ، منها ستون دانقاً فرادى ، اقتطعتها بالدانق والدانقين من الشجار مع البدال والبقال والقصاب ، إلى أن تحمر وجنتاها خجلاً مما تلقى على شحها من الاتهامات الصامتة التي لابد منها في مثل هذه المساومات . . ولقد عدتها ديلا ثلاث مرات دولاراً وسبعة وثمانين دانقاً . واليوم التالي عيد الميلاد . .

واتضح لها أنه ما من شيء تستطيع عمله ، إلا أن تنحط على الكنبة الصغيرة الرثة وتبكي! وكذلك فعلت ديلا ، وذلك ما يعزز الرأي القائل بأن الحياة تتكون من الدموع والتنهدات والبسمات ، وللتنهدات الغلبة .

فلندع ربة البيت تفش غلها رويداً ، ولنلق نظرة على البيت : إنه مسكن مؤنث ، إيجاره ثمانية دولارات في الأسبوع ، فقره لا يعجز الوصف تماماً ، وإن سهل على أي متسول أن يرى طابعه على الباب .

وكان في دهليزه الأسفل صندوق للرسائل لم يحظ برسالة قط ، وزر جرس كهربائي لا تستطيع أصبع بشرية أن تروضه على الرنين . وعلى مقربة منه كانت بطاقة تحمل اسم «السيد جيمس ديلنجهام يونج» .

ان اسم ديلنجهام كان يلتمع في عهد سعيد سلف ، يوم كان صاحبه يتقاضى ثلاثين ريالاً في الأسبوع . فأما وقد انكمش الدخل اليوم إلى عشرين ريالاً ، فإن أحرف الاسم كادت تنطمس كما لو كانت تفكر جدياً في الاختزال إلى حرف (د .) المتواضع . . بيد أن السيد جيمس ديلنجهام يونج ما كان يعود إلى البيت ويصل إلى مسكنه في الطابق الأعلى حتى يدعى «جيم» ، وتتلقاه بالعناق السيدة جيمس

---

١ - المجوس: قوم جاءوا إلى السيد المسيح وهو رضيع في المهد، فأغدقوا عليه الهدايا بين ذهب ومر ولبان.

www.alkottob.com

ديلنجهام يونج التي سبق تقديمها إليك باسم ديلا . وياله كله من حال جميل .

فرغت ديلا من بكائها ، وأزالت على وجنتيها أثر الدموع بالذرور ، ووقفت إلى النافذة تنظر منها بكآبة إلى قطة رمادية ، تمشي على سور رمادي ، في رحبة رمادية . غداً عيد الميلاد ، وليس معها أكثر من دولار وسبعة وثمانين دانقاً ، لتشتري هدية لجيم . لقد ادخرت كل دانق استطاعت ادخاره خلال شهور ، وهذا هو الرصيد . . إن عشرين ريالاً في الأسبوع لا تغني . والنفقات زادت على ما كانت تقدر . وكذلك الحال على الدوام . وعليها أن تشتري من الدولار والسبعة والثمانين دانقاً هدية لجيم - لحبيبها جيم - ولكم قضت من ساعات حلوة تفكر في شيء جميل تقدمه إليه ، شيء أنيق ، نادر ، أصيل . . شيء يمكن ببعض التجاوز أن يحظى بشرف الانتماء إلى جيم .

وكانت مرايا مضلعة الزجاج تكسو الجزء الواقع بين نوافذ الحجرة من الجدار . ولعلك رأيت هذه المرايا المضلعة في مسكن إيجاره ثمانية دولارات . ان جسماً نحيلاً على غاية من المرونة والقدرة على التثني قد يستطيع أن يتبين صورته عليها في مزق مستطيلة تتوالى بعضها وراء بعض . ولما كانت ديلا نحيفة القوام فقد حذقت هذا الفن .

واندفعت بغتة من النافذة ووقفت أمام المرآة بعينين تتلألآن . . ولكن ما هي إلا ثوان حتى امتقع لونها ، وما أسرع ما حلت شعرها وتركته يتهاوى حولها على طوله .

إن جيمس ديلنجهام يونج وامرأته كان لهما ملكان[1] ، وكانا لكليهما مصدر فخار عظيم : الأول ساعة جيم الذهبية التي ورثها عن أبيه ، وورثها أبوه عن جده . والثاني شعر ديلا . ولو أن بلقيس ملكة سبأ كانت تعيش في المسكن المقابل من المنور ، لأرسلت ديلا يوماً ما شعرها من النافذة ليجف ، لا لشيء إلا لتكايد جواهر جلالتها ، وتزرى بما عليها من نفائس . ولو أن الملك سليمان كان قيم البيت ، وكانت

---

١ - الملك، بضم الميم، ما يملكه الإنسان.

www.alkottob.com

كنوزه مكدسة في القبو ، لأخرج جيم ساعته كلما مر به لا لشيء إلا ليراه ينتف لحيته من الحسرة والكمد .

كذلك تساقط شعر ديلا الفاتن من حولها ، مائجاً براقاً كينبوع من عسل ، واصلاً إلى ما تحت ركبتيها ، كاسياً إياها بمثل القباء أو يكاد . ثم لم تلبث أن عقدته فوق رأسها باضطراب ، وغمغمت لحظة ، ثم وقفت كالصنم ، تتساقط منها عبرة أو عبرتان على البساط الأحمر البالي .

وفي لحظة ارتدت سترتها الرثة البنية اللون ، واتبعتها على عجل بقبعتها الرثة البنية اللون ، ورمت قمصانها حيثما اتفق ، واندفعت كالسهم إلى الباب فصفقته من خلفها بعنف ، وهبطت السلم إلى الطريق ، وبريق عينيها يتلألأ كما كان .

ووقفت عند باب كتب في لافتة عليه «مدام سوفروني – لوازم شعر من كل نوع» ، فصعدت ديلا إلى الطابق الثاني ركضاً ، واستردت أنفاسها من أثر اللهاث ، وألفت نفسها أمام مدام سوفروني البدينة البيضاء كالشمع ، الباردة كالثلج ، التي لا تشبه من قريب اسم سوفروني الرقيق .

وقالت ديلا : «ألك في شراء شعري . . ؟»

قالت السيدة : «إني أشتري الشعر . . أخلعي قبعتك ودعيني أنظر إليه . .»

وسال ينبوع العسل!

قالت السيدة وهي ترفع غدائر الشعر بيد خبيرة :

– عشرون دولاراً .

قالت ديلا : «الي بها على عجل» .

ورفعت الساعتان التاليتان بأجنحة من غلائل الورد – وتناس هذه الاستعارة المهلهلة – فإن ديلا كانت تنقب في الدكاكين عن هدية جيم ، ووجدتها في النهاية . . وفي الحق أنها كانت كأنما صنعت لجيم دون سواه ، فما كان لها شبيه في السوق التي قلبتها ظهراً لبطن . وتتألف من سلسلة من البلاتين لساعة جيب ، بسيطة أنيقة في تصميمها

www.alkottob.com

البديع . ينم عن نفاستها جوهرها وحده ، لا ما يحليها من زخارف ، كما ينبغي أن تكون كل الأشياء الطيبة . بل انها كانت من النفاسة بحيث تليق بالساعة . وهي شبيهة به ، يجمع بينهما جامع النفاسة والهدوء . ولقد دفعت فيها واحداً وعشرين دولاراً ، وأسرعت إلى البيت ومعها الدوانق السبعة والثمانون . إن جيم وهذه السلسلة في ساعته قد يشوقه أن يعرف الوقت في أي مجلس يضمه . فلطالما نظر إلى الساعة على فخامتها خفية ، بسبب تلك القطعة من الجلد التي كان يعلقها بها في مكان السلسلة . .

وعندما عادت ديلا إلى البيت كانت نشوتها قد ثابت إلى شيء من الفطنة والعقل ، فأخرجت مكواة الشعر ، وأوقدت النار ، وشغلت نفسها باصلاح ما غال منها الجود والحب ، وما أشقه من عمل ينوء به فيل . .!

وفي أربعين دقيقة تغطى رأسها بوفرة[1] من خصل الشعر الصغيرة المتضامة ، جعلتها أشبه ما تكون بغلام في اصلاحية أحداث ، وراحت تتأمل بنظرات طويلة ناقدة صورتها في المرآة!

وقالت لنفسها : « إن لم يقتلني جيم لأول وهلة ، فسيشبهني بمغنية نكرة في مدينة الملاهي . ولكن ماذا كان في قدرتي أن أصنع بدولار وسبعة وثمانين دانقاً . . ؟ »

وفي الساعة السابعة أعدت القهوة ، وكانت المقلاة على مقربة من الموقد المشتعل ، مهيأة لقلي شرائح اللحم النيء . .

إن جيم لم يكن يخلف ميعاده قط . فطوت ديلا السلسلة في يدها وجلست على حافة المائدة المواجهة للباب الذي يدخل منه على الدوام ، وما لبثت أن سمعت وقع أقدامه على سلم الطابق الأول ، وامتقع لونها لحظة ، وكان من عادتها أن تصلي صلاة قصيرة صامتة كلما همت بشيء مهما تفه ، فتضرعت هامسة : « يا رب ألهمه من فضلك أن يراني جميلة كما كنت » .

---

١ – الوفرة، ما بلغ شحمة الأذن من الشعر.

www.alkottob.com

وفتح الباب ، ودخل جيم ، بادياً عليه النحول والكآبة ، وياله من مسكين يحمل أعباء أسرة في الثانية والعشرين ، معطفه الرث في حاجة إلى التغيير ، ويداه بلا قفاز .

وقف جيم خلف الباب مشلول الحركة ، ككلب يتنسم رائحة الطريدة ، وتركزت على ديلا عيناه ، في نظرة لم تدرك كنهها ، ملأتها رعباً . نظرة ليس فيها غضب ولا دهشة ولا انكار ولا ذعر ولا أية عاطفة تهيأت لملاقاتها . كان شاخصاً إليها وحسب بتلك النظرة الخرساء .

ونحت ديلا المائدة وهرعت إليه صائحة :

« حبيبي جيم . . لا تنظر إلي هكذا . وقد قصصت شعري وبعته ، لأني لم أجرؤ أن أواجه عيد الميلاد بلا هدية لك . . لا عليك ، سيكبر من جديد . . لقد كان حتماً علي أن فعل . . أن شعري ينمو بسرعة مدهشة . جيم . قل لي : عيد ميلاد سعيد . ولنسعد بالعيد ، انك لا تعلم بأية هدية جميلة حلوة سأهديك » . .

وتساءل جيم في عسر : « أقصصت شعرك . . ؟ » وكأنما أعياه ادراك هذه الحقيقة الجلية حتى بعد ما بذل من جهد عقلي عنيف .

قالت ديلا : « أجل قصصته وبعته . ألست تحبني الآن كما كنت تحبني من قبل . . ؟ على أية حال . إنني أنا أنا ولكن بلا شعر ، ألست كذلك . . ؟ »

وأدار جيم طرفه في الحجرة على منوال غريب ثم قال ، وكأنما بله أو كاد : « تقولين أن شعرك زال . . ؟ »

قالت ديلا : « أبك من حاجة لأن تنظر إليه . . ؟ لقد قلت لك إنه بيع ، بيع وانتهى كذلك . هذه ليلة عيد الميلاد ، يا رجل أرفق بي فقد أضعته من أجلك . . ! »

ثم طافت بصوتها بغتة حلاوة هائلة وهي تقول : « لعل شعر رأسي كان يمكن أن يعد أو يحصى ، ولكن حبي لك لا يقبل العد والإحصاء . هل أضع المقلاة على النار . . ؟ »

وأفاق جيم من ذهوله بغتة فعانق ديلاه .

www.alkottob.com

ودعونا في عشر ثوان نمعن النظر في شيء طفيف وقع للطرف الثاني . أي فرق بين ثمانية دولارات في الأسبوع ومليون دولار في العام . . ؟ إن الحسابة أو سريع الخاطر سيخطئان حتماً في الإجابة عن هذا السؤال . ولقد حمل المجوس هدايا نفيسة للسيد المسيح ، ولكن الشيء الطفيف الذي نعنيه لم يكن بين هذه الهدايا .

ودعونا نلقى شعاعاً من الضوء على هذا الابهام .

أخرج جيم من جيب معطفه لفافة وألقى بها على المائدة ثم قال : «لا تسيئي بي الظن يا ديلا ، فلست أحسب أن قص شعرك أو غسله أو تهذيبه ، أو شيئاً مما يجري في هذا المجرى يستطيع أن يزعزع حبي إياك ، ولكن لعلك لو حللت هذه اللفافة لأدركت لماذا انتابني الذهول»!

وعملت الأصابع البيضاء في فك اللفافة بخفة ، وتلت ذلك صيحة فرح نشوان ، ثم وا أسفاه : انقلاب أنثوي سريع على البكاء والنحيب ، تطلب من رب البيت أن يحشد له على عجل كل مواهبه في التعزية والترفيه . .

وقد كان في اللفافة طاقم من الأمشاط في علبة يتجاوز فيها ظهراً لبطن . . أمشاط كانت ديلا تتعبد لها منذ زمن طويل في معرض من معارض التحف بشارع برودواي . .! أمشاط جميلة من صدف السلاحف النقي ، ذات حواش مطعمة بالجوهر بلون ينسجم مع جمال الشعر المقصوص . ولقد كانت تدرك نفاسة هذه الأمشاط ، ومن أجل ذلك كان قلبها يحن إليها ، ويتلهف دون لمحة أمل في أن تكون لها . وهي الآن ملكها ، ولكن غدائر الشعر التي كان ينبغي أن تزين هذه الحلية المشتهاة لم يعد لها وجود .

ومع ذلك فقد ضمتها إلى صدرها ، واستطاعت بعد لأي أن تنظر إليها بعيون خابية ، وتقول باسمة : «إن شعري سريع النمو يا جيم» . .

ثم وثبت ديلا وثبة هرة محرقة وصاحت : «أوه . . أوه»

إن جيم لم ير هديته بعد ، فرفعتها له على راحتها المبسوطة . . وبدا المعدن النفيس الخابي ، وكأنه يتوهج بشعاع ينعكس عليه من روحها الوهاجة الوامقة .

www.alkottob.com

- «أليست جميلة يا جيم ؟ لقد ذرعت المدينة في سبيلها . إنك تستطيع الآن أن تتعرف الوقت مائة مرة في اليوم . هات الساعة . أريد أن أعرف كيف تنسجم معها » .

وبدلاً من أن يلبي النداء تهالك جيم على الكنبة ، وشبك راحتيه على قفاه ، وضحك ثم قال : «ديلا . . . دعينا ننحي هدايا العيد جانباً إلى حين . . إنهما أجمل من أن يصلحا للوقت الحاضر . لقد بعت الساعة لأحصل على ثمن الأمشاط . والآن أليس الأوفق أن تضعي اللحم في المقلاة . . ؟ »

***

إن المجوس كما تعلمون عندما جلبوا هداياهم للسيد المسيح وهو طفل في المزود ، كانوا حكماء حكمة بالغة ، وهم الذين ابتدعوا فن الاهداء في عيد الميلاد . ولما كانوا حكماء جاءت هداياهم حكيمة دون ريب ، ولعل مزيتها كانت إمكان المبادلة عليها بسواها . . إذا كان لدى المهدي إليه مثلها . وهأنذا قد رويت لكم قدر ما يوسع قلمي العاجز ، التاريخ السلس لطفلين أحمقين ضحى كل منهما بطيش في سبيل الآخر ، بأغلى ما يملكان من كنوز!! وليكن الختام كلمة نقولها لحكماء هذا الزمن : إن هذين الاثنين أحكم من أهدى ومن أهدي إليه في كل زمان ومكان ، إنهما هما المجوس .

www.alkottob.com

كف توبين: طالع السعد

ذهبنا معاً - توبين وأنا - إلى مدرسة الملاهي ، فقد كنا نمتلك أربعة دولارات ، وكان توبين في حاجة إلى السلوى ، إذ أن حبيبته كاتي ماهورنر من أقليم سليجو ، انقطعت أخبارها عنه منذ بدأت رحلتها إلى أمريكا قبل ثلاثة أشهر ، حاملة مائتي دولار كانت كل ما ادخرته ، ومائة أخرى باعت بها ما ورثه توبين من ممتلكات على مستنقعات شانو (بايرلندة) . ويتكون هذا الميراث من كوخ لطيف وخنزير . ومنذ أن تسلم رسالتها التي أعلمته فيها أنها قادمة إليه ، لم يسمع عنها خبراً ، ولا اكتحلت له برؤيتها عين . ولجأ توبين إلى الإعلان في الصحف ، ولكنه لم يقف على أثر للفتاة .

وكذلك ذهبنا إلى الملاهي أنا وتوبين ، وكلي أمل أن زلقة على الزوارق المنزلجة ، إذا أضيف إليها عبق «الفشار» ، قد تبعث إلى قلبه نسمة عزاء . ولكن توبين كان صعب المراس ، وكان الأسى يملأ اهابه ، فقرع السن غيظاً من صوت المزامير ، وقابل أشباح خيال الظل باللعنات ، ورغم أنه لم يرفض دعوة إلى كأس ، فان نشوة الخمر لم تزده إلا حردا على شخوص «الاراجوز» ، يكاد يتحرش بها كلما ظهرت .

لذلك نحيته إلى منعطف جانبي من المدينة ، مكسو بألواح الخشب ، كانت الملاهي فيه أقل صخبا . فما أن مررنا بصومعة لا تزيد مساحتها على ستة في ثمانية أقدام ، حتى وقف منفرج الأسارير عن نظرة ، أقرب إلى نظرات البشر ، ثم قال :

- «هنا أستطيع أن أتسلى . . هذه عرافة النيل العجيبة ، سأقرئها كفي ، وأرى أيكون ما قدر لي فيها أن يكون» .

كان توبين يؤمن بالآيات والخوارق ، وكان عقله مكتظاً بالعقائد الشاذة

www.alkottob.com

حول القطط السوداء ، والأرقام المحظوظة ، ونبوءات الطقس في الصحف .

ودخلنا عش الدجاج المسحور ، وقد هول بسجف حمراء ، موشاة بصور الاكف تقاطعت خطوطها وتشابكت ، كأنها ملتقى طرق حديدية ، وكتب على لافتة ببابه «مدام زوزو – العرافة المصرية» . وألفينا بالداخل امرأة بدينة ترتدي صداراً أحمر مطرزاً بالشصوص المعقوفة وصور الوحوش ، فأعطاها توبين عشرة دوانق ، وبسط لها كفاً كأنها حافر البغل ، فراحت تطالعها له لنرى أتتكشف عن لؤلؤة في الشبكة أم عن نعل قديم .

وقالت مدام زوزو :

– «يا رجل . . . إن خط الحظ عندك يدل على قدم[1]» .

فقاطعها توبين :

– «وهذه ليست قدمي البتة ، وما هي جميلة عن يقين ، ولكنها يدي ما تمسكين» .

واستأنفت السيدة :

– «ويقول الخط ان حياتك حتى اليوم لم تكن مفروشة بالورود . لقد صادفتك نحوس ، وما زالت أمامك نحوس . ويدل تنوء الابهام .

– أو لعل هذا ندبة جرح قديم – على انك وقعت في غرام ، وانك لقيت في حياتك نصباً من معقد هواك . .»

وأمال توبين رأسه نحوي ، وهمس بصوت هادر مسموع :

– «إنها تشير إلى كاتي ماهورنر . . .»

قالت العرافة :

– «وأرى كثيراً من الأحزان والخطوب ترتبط بشخص لا تستطيع أن تنساه ، وأرى في خطوط الدلالة إشارة إلى حرفين في اسمها : الكاف والميم» .

قال توبين في دهشة : «هست! . . . أتسمع ما تقول ؟»

ومضت العرافة فيما كانت تقول :

«حذار من رجل أسمر ، وامرأة شقراء ، كلاهما سيجلبان لك متاعب .

---

١ – القدم، السابقة في الأمر خيراً كان أم شراً.

www.alkottob.com

وستركب البحروشيكا ، وتمنى بخسارة في المال . بيد أني أرى خطا فيه لك حظ سعيد . إن رجلاً سيدخل في حياتك يأتيك منه خير كثير ، وستعرفه بأنفه الأعوج عندما تراه » .

وساءلها توبين :

« هل تجدين اسمه مكتوباً ؟ سيعين هذا على بدئه بالتحية ، عندما يظهر ، ليملأ وطابي بالخير الكثير » .

قالت العرافة ناظرة نظرة المتأمل :

« خطوط كفك لا تبوح باسمه ، ولكنها تدل على انه اسم طويل ، وينبغي أن يكون فيه حرف واو ، وليس ثمة شيء آخر يقال . عم مساء ، ولا تغلق الباب » .

وبينما نتمشى نحو « الكورنيش » قال توبين : « ما أبرعها عرافة! »

وإذ نعبر باب الرصيف البحري ونشق طريقنا في غمرة الزحام لسع زنجي بسيجاره المشتغل إذن توبين . وبدأت المتاعب ، فإن توبين وكزه في قفاه ، فعلا صراخ النساء ، وببديهة سريعة نحيت الزنجي الضئيل عن الطريق ، قبل أن يحضر الشرطة ، فإن توبين إذا ركب رأسه لم تعرف لفظاظته حدود .

وسمعنا ونحن عائدان من نزهتنا البحرية رجلاً ينادي :

– « من ذا الذي طلب الساقي الرشيق ؟ »

وحاول توبين أن يلقي التهمة على نفسه ، فقد أحس برغبة في نفخ الرغوة من كأس من الجعة ، ولكنه عندما وضع يده في جيبه ، تبين له أنه بريء لعدم كفاية الأدلة! إن أحداً ما قد سرق الدوانق التي كانت معه خلال ما حدث من هرج ومرج! وكذلك جلسنا في مقاعدنا عطاشاً نصغي إلى الألحان التي كانت تزجيها فرقة داجوس على ظهر السفينة . وما من شيء تغير على هذه الألحان إلا روح توبين التي بدت أتعس مما كانت عندما بدأنا النزهة ، وأشد سخطاً على خطوبه وبلاياه .

وكانت تجلس على مقعد بجوار سياج الزورق امرأة شابة ترتدي ثياباً تفحش في الأناقة ، يكسو رأسها شعر أشقر ذميم الشقرة ، وإذ يمر بها

www.alkottob.com

توبين داس قدمها عفواً ، ولما كان الأدب مع النساء من شيمته وهو مخمور ، فقد خلع قبعته ، وحاول أن يديرها بيده في حركة اعتذار ، فهوت منها ، وحملتها الريح فألقت بها في الماء .

وعاد توبين فجلس ، وفي نفسي قلق من توالي شدائده على هذا المنوال ، فقد كان من شيمته إذا بالغ سوء الحظ في تحديه ، أن يصبح عرضة لأن يركل أي رجل يلقاه مهما تأنق في ثيابه ، ولعله قد يحاول أن يهيمن على الزورق اغتصاباً .

ولكنه لم يلبث حتى قبض على ذراعي بقوة ، وقال وهو جذلان :

– «جون . . أتدرك ما نحن فيه ؟ إننا نركب البحر . .»

قلت : «لا عليك . . هدئ من روعك . . في عشر دقائق يرسو بنا الزورق على الشاطئ» .

قال : «وانظر إلى السيدة الشقراء الجالسة على الدكة المقابلة . ولعلك لم تنس الزنجي الذي كوى أذني . ثم ألست أضعت من المال ريالاً وخمسة وستين دانقاً ؟»

وحسبته يحصي مصائبه حتى يتخذ منها مبرراً للعنف ، كما يفعل الناس عندما يخلقون عللاً من هواهم لكل ما يفعلون ، فحاولت أن أفهمه تفاهة مثل هذه الأشياء .

فقال توبين :

– «اسمع يا رجل . . إن في أذنك وقرا لاتفقه موهبة النبوة ، ولا اعجاز الملهمين . ماذا روت لك السيدة العرافة من أسرار كفي ؟ إنه يتحقق أمام عينيك . لقد قالت حذار من رجل أسمر ، وامرأة شقراء ، فمنهما تأتيك متاعب . فهل نسيت الزنجي ، وإن نال من قبضتي بعض الجزاء ؟ وهل في وسعك أن تريني امرأة أشد شقرة من تلك السيدة التي تسببت في اسقاط قبعتي في الماء ؟ وأين هو الدولار والخمسة والستون دانقاً التي كانت معي عندما غادرنا جناح الرماية ؟» .

وكأنما الأسلوب الذي صاغ به توبين ما أصابه ، حجة لفن العرافة ، وإن بدا لي أن هذه الحوادث كان يمكن أن تحدث في الملاهي لأي مخلوق دون

www.alkottob.com

تدخل العرافة .

ونهض توبين وتجول هنيهة على سطح الزورق ، محملقاً في ركابه بعينيه الصغيرتين المحمرتين ، فسألته تفسير ما يفعل ، فإنك لا تدري ما يدور في خلد توبين ، حتى يضعه موضع التنفيذ .

قال : « ينبغي أن تعلم أني أبحث عن تحقيق ما وعدتني به كفي ، عن ذلك الرجل ذى الأنف الأعوج ، الذي سيجلب لي الخير الكثير . إنه لنا مطلع الرجاء . هل عرفت قط في حياتك يا جون عصبة من الشياطين أشد استقامة أنوف من هؤلاء الركاب ؟ »

لقد كان الزورق الذي ركبناه زورق التاسعة والنصف مساء ، فلما رسا ، تمشينا صعداً في الشارع الثاني والأربعين ، وتوبين مكشوف الرأس .

وفي ركن منعطف من الطريق عثرنا برجل يقف تحت مصباح غازي من مصابيح الشارع ، شاخصاً إلى القمر المشرق فوق الطريق الهندسي الصاعد . وكان رجلاً فارع الطول محتشم الثياب ، بين ثناياه سيجار ، ورأيت أنفه يلتوي من أرنبته إلى أعلى قصبته مرتين ، كأنه ثعبان ، وفي نفس اللحظة وقعت عين توبين على أنف الرجل ، فتنفس الصعداء كجواد متعب أزيح السرج من فوق ظهره ، واندفع إلى الرجل كالسهم ، فتبعته . .

وقال توبين للرجل : « سعدت مساء »

فأخرج الرجل السيجار من فمه ، ورد التحية بسماحة .

وقال توبين : « هل لك أن تلقي باسمك إلينا لنرى إلى أي حد يطول ، فقد يصبح لزاماً علينا أن نتعارف ؟ »

وأجاب الرجل في أدب : « إن اسمي فرايدان هافزمان – ماكسيمس . فرايدان هافزمان »

قال توبين : « هذا هو الطول المراد . فهل يظهر حرف الواو في هجائه بأي مكان ؟ »

قال الرجل : « كلا » . .

فتساءل توبين في قلق : « ألا يمكن أن تتهجاه بالواو ؟ »

فأجاب ذو الأنف : « إذا ضاق ذرعك باللغات الأجنبية ، وشئت أن

www.alkottob.com

تفعل بها ما يحلو لك ، فقد يمكن أن احشر الواو حشراً في المقطع الذي يسبق الأخير » .

قال توبين : « هذا حسن ، فاعلم أنك بحضرة جون مانون ودانييل توبين » .

وانحنى الرجل قائلاً : « لي عظيم الشرف ، ولكن ما دمت لا أستطيع أن أجد علة لهذا الاستجواب على قارعة الطريق ، فهل لك أن توضح لي سر هذا التبسط ؟ »

فأجاب توبين محاولاً الإيضاح : « فيك سمتان مما قرأته في كفي العرافة المصرية ، تؤهلانك لأن تكون مطلع السعد في أفق النحس الذي قادني إليه الزنجي الأسود ، والسيدة الشقراء ذات القدمين المتشابكتين على ظهر الزورق ، مضافاً إليهما خسارتي المالية لدولار وخمسة وستين دانقاً . وكلها تنبؤات تحققت بالحرف حتى الآن » .

وكف الرجل عن التدخين ونظر إلي متسائلاً : « ألديك أية تنقيحات لهذا القول ؟ أو لعلك مهفوف[1] آخر ؟ يخيل إلي من نظراتك انك مقدر لما كان يجب عليك من القبض علي! »

وأجبته : « ليس عندي ما أضيفه ، إلا أن شخصك والحظ الطيب الذي تنبأت به كف صاحبي تتشابهان حذوك النعل بالنعل . فإن لم يصدق ذلك ، فلابد أن الخطوط تشابكت خطأ في كف داني ، وهذا ما ليس لي به علم! »

قال ذو الأنف وهو يذرع الطريق بعينيه باحثاً عن شرطي : « أنتما اثنان إذن . طاب مساؤكما . لقد سعدت بصحبتكما كثيراً » .

ثم وضع السيجار في فمه ، وهرول يعبر الطريق ، ولكن ما أسرع ما لاصقه توبين من جانب ، ولاصقته من الآخر .

ووقف الرجل على الطوار المقابل ، وأزاح قبعته إلى قفاه وصاح : « ما هذا ؟ ألعله طراد ؟ اليكما ما أقول : أني سعدت بلقائكما . نعم ، ولكن لي رغبة في أن أتخلص منكما الآن . . إنني عائد إلى منزلي » .

وقال توبين متكئاً على ذراعه : « عد إلى بيتك . وستراني مقعياً على

---

١ - المهفوف، الأحمق.

www.alkottob.com

بابه في الصباح . فعليك اعتمادي كله في محو لعنة الزنجي الأسود والسيدة الشقراء ، والغرم المالي للدولار والدوانق الخمسة والستين » .

قال الرجل وهو يلتفت إلي كمجنون أعقل : « هذا خلط عجيب . أليس الخير أن تعود به إلى بيته ؟ »

فقلت له : « اصغ يا رجل . إن دانييل توبين الآن كأعقل ما كان . لعله مضطرب نوعاً ، فقد شرب ما يكفي لبث الاضطراب ، وان قصر عن إضاعة الرشاد ، وهو لم يعد أن سلك السبيل الذي بسطته له خرافاته ورزاياه ، ذلك السبيل الذي سأصف لك إياه » .

ورحت أروي له ما قالت العرافة ، وكيف أن أصبع الشك يتجه نحوه كمطية للحظ السعيد .

واختتمت حديثي قائلاً : « إنك تدرك الآن موقفي من هذا الشغب . فإني كما أعتقد صديق لصديقي توبين . ومن اليسير أن تكون صديقاً للسعداء ، لأن صداقتهم تفيد ، وليس من العسير أن تصادق الفقراء ، لأنك تستطيع أن تزهو بما تلقى من عرفان الجميل ، وبرؤية صورتك منشورة في الصحف وأنت واقف على باب ربع ، وفي كلتا يديك هبة تنعم بها على يتيم . ولكن ما أشد ما تمتحن الصداقة إذا قدر عليك أن تكون صديقاً حميماً لأحمق أصيل . وهذا هو ما أفعل الآن ، لأني موقن أن كفي لا يمكن أن تروي عن حظ لم يكتبه عليها مقبض الفأس . وأنت لو أن لك أنفاً هو أشد الأنوف اعوجاجاً في نيويورك ، فما أشك أن كل العرافين الناجحين أعجز من أن يحتلبوك قطرة من الحظ السعيد ، ولكن كف داني تشير إليك خطوطها دون ريب ، وسأعينه على أن يبلوك حتى يؤمن معي أنك بكئ »[1] .

واستحال عبوس الرجل بغتة إلى بشر ، واستند إلى جدار وراح يضحك ملء شدقيه ، ثم صفقنا أنا وتوبين على ظهرينا وتأبط كلا منا بذراع ، وقال :

– « هذه غلطتي . كيف أتوقع من شيء في هذه الرقة وهذا اللطف أن ينقلب شراً علي! لقد أوشكت أن أصبح لئيماً . إن على مقربة منا مقهى لطيفاً يليق لاستقبال النوازع المتضاربة ، فلنذهب إليه ، ولنبحث على هذه

www.alkottob.com

الكأس مدى استحالة هذا الترياق » .

وما أتم كلامه حتى قادني وتوبين إلى المقهى ، وفي غرفة نائية فيه أمر بالكؤوس ، واضعاً على المائدة قيمتها من النقود . وراح يعاملنا أنا وتوبين معاملة الأخوة ، ومنح كلاً منا سيجاراً .

ثم قال رجل المقادير : « ينبغي أن تعلما أن سبيلي في الحياة هو ما يسمونه شرعة الأدب . إني أسري في الليل منقباً عن النزوات المتضاربة في البشر ، وعن الحق الصراح في علياء السماء . وعندما وقعتما علي كنت أتأمل في ذلك الممر الهندسي الصاعد ، وعلاقته بكوكب الظلام . إن هذا الممر الضخم هو الشعر والفن في أعين الأمريكيين ، وليس القمر عندهم غير جماد ممل أجرد يتحرك بناموس عام . بيد أن هذه آراء شخصية ، فإن الأمور تنقلب في دنيا الأدب . وإني لآمل أن أكتب كتاباً عن الغرائب التي اكتشفتها في الحياة » .

قال توبين بادي الغيظ : « إذن تضعني في كتاب ، أتضعني حقاً في كتاب ؟ »

قال الرجل : « كلا . . . فلن تسعك دفتاه . ولم يأن ذلك . وخير ما أفعله من أجلك أن أصطنعك لنفسي ، لأن الوقت لم يتهيأ بعد للقضاء على الطاقة المحدودة للمطابع ، وقد تبدو لغزاً على الورق ، فمن الخير أن أحتسي هذه الكأس من السرور وحدي ، بيد أني في الحق يا أصدقائي ممتن لكما شكور » .

قال توبين وهو يضرب المائدة بقبضته ، وينفخ الكلام نفخاً من خلال شاربيه :

– « إن حديثك وجيعة لصبري . ولقد كان في أنفك الأعوج وعد بالسعد ، ولكن جناك أشبه ما يكون يجعجعة الطبول . إنك لتشبه بضوضاء كتبك الريح العازفة في كهف ، ولقد كنت خليقاً منذ الآن أن أكذب كفي فيك عن يقين ، لولا أنها صدقتني في الزنجي الأسود ، والمرأة الشقراء والـ . . . »

وقاطعه الرجل الطويل : « هست! أتخدعك الفراسة ؟ ان أنفي سيفعل ما

---

١ – الناقة البكئ القليلة اللبن.

www.alkottob.com

يستطيع ، ولكن لا تكلفه ما لا يطيق . دعونا نعد ملء هذه الكؤوس ، فمن الخير أن نندي الأخلاط الروحية ، فقد يعرضها الجو الروحي للانحلال » .

ولقد أحسن رجل الأدب في رأيي ، إذ سدد بسرور ثمن كل شيء ، فقد كان استكشاف الغيب استنفد مالي ومال توبين ، ولكن توبين نفسه كان يتألم ، ويشرب في صمت ، ويتوهج الجمر في عينيه .

وما هي إلا هنيهة حتى خرجنا إذ كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ، ووقفنا لحظة على الطوار ، ثم قال الرجل إنه لابد عائد إلى بيته ، ودعاني وتوبين أن نرافقه في الطريق . ووصلنا بعد قليل إلى منعطف على جانبيه سلسلة من المنازل المبنية باللبن ، لها ظلل عالية ، وأسوار من حديد ، فوقف الرجل على منزل منها ، وتطلع إلى نوافذه العليا ، فألفاها مظلمة ، فقال :

– « هذا بيتي المتواضع ، واني لأرى من الدلائل ما يقول لي أن امرأتي قد استسلمت للمنام . ومن أجل ذلك أجازف بقليل من كرم الضيافة ، فأدعو كما للدخول إلى قبو البيت فنتعشى ونتساقى بعض الشراب ، وسنصيب هناك دجاجة باردة طيبة وجبناً وزجاجة أو زجاجتين من الجعة ، وعلى الرحب تدخلان وتأكلان ، فإني مدين لكما بما لقيت من تسلية هذا المساء » . .

ولقد لاءم هذا الاقتراح شهيتنا أنا وتوبين ، ومزاجينا ، ولو أن خرافات دانى وقف في حلقها ، أن تجد في بضع كؤوس وعشوة باردة ، عوضاً عما وعدته به راحة يده من حظ سعيد .

وقال الرجل ذو الأنف الأعوج :

– « أهبطا هذا الدرج ، وسألج المدخل الأعلى ، وأفتح لكما الباب . وسأسأل الخادمة الجديدة المقيمة في المطبخ أن تصنع لكما تنكة من القهوة تشربانها قبل الخروج . إنها قهوة طيبة تلك التي تصنعها كاتي ماهورنر الصبية التي هبطت هذه الأرض منذ ثلاثة أشهر . . . هيا اهبطا وسأبعث بها إليكما في الحال . . »

www.alkottob.com

تيلدى تواجه السعادة

إذا كنت لا تعرف مطعم بوجل العائلي فهذه غلطتك . فلو انك أحد المحظوظين الذين ينفقون على طعامهم بسخاء ، لشاقك أن تعرف ما يفعله النصف الآخر من مواطنيك في أمور القوت . ولو انك من المنتسبين إلى النصف الثاني الذي يعتبر فواتير الندل في المطاعم من الأمور ذات الخطر ، لوجب عليك أن تعرف مطعم بوجل ، حيث تحصل على ما يكافئ نقودك ، من حيث الكم على الأقل .

إن مطعم بوجل يقوم في حي من أحياء الطبقة المتوسطة بالشارع الثامن ، وبه صفان من المقاعد ، وست مناضد في كل صف ، وعلى كل منضدة حامل يحتوي على أوعية زجاجية للملح والتوابل والمشهيات . فمن وعاء الفلفل يمكنك أن تثير سحابة من شيء لا طعم له ، وان أثار من الدمع ما يثير غبار بركان . ومن الملاحة لا تتوقع شيئاً البتة ، فانك قد تقدر على استخلاص الدم من اللفت الشاحب ، ولكنك عاجز لا محالة عن استخراج الملح من ملاحات بوجل . وعلى كل منضدة كذلك زجاجة بها صلصة زائفة ، قيل انها مأخوذة عن تركيب لأحد الأمراء الهنود .

ويجلس بوجل على مكتب الحساب ، بارداً ، خاملاً ، ضئيلاً ، متئداً ، وهو يأخذ نقودك ، ويرد إليك باقيها خلف تل من مساوك الأسنان ، ويحتفظ بفاتورة الحساب ، ثم يحدثك بكلمة عن الجو في نقيق كنقيق الضفدع . ويجدر بك ألا تقامر بمناقشته في حالة الجو ، وقد لا تتلاقيان مرة أخرى قبل أن ينفخ ميكائيل في الصور ، فخذ بقية حسابك ، واذهب إذا شئت إلى الشيطان مشيعاً من بوجل بأصدق التمنيات .

وتقوم بتلبية طلبات رواد المطعم نادلتان . . وصوت . فأما أولى

www.alkottob.com

النادلتين ففتاة تدعى ايلين ، فارعة القامة ، جميلة ، رشيقة ، فياضة بالحياة ، واسعة الاطلاع في «القفش والتنكيت» واسمها الآخر . . . ولكن مالك واسمها الآخر ، وما ثمة ضرورة لاسم آخر في مطعم بوجل ، كما هو الشأن في طاسات الفاكهة وغسل الأصابع .

وأما النادلة الأخرى فاسمها تيلدى ، ولا تقل ماتيلدا من فضلك ، فان اسمها - وأنصت جيداً في هذه المرة - تيلدى . . . تيلدى ليس إلا ، وهي كئيبة ، ذات وجه ساذج ، تواقة لأن تسر عملاءها على الدوام .

وأما ذلك الصوت في مطعم بوجل ، فقد كان صوتاً خفياً ، ينبعث من المطبخ ، لا يوحي للأذن بالاستماع إليه ، كان صوت صنم لا يفتأ يردد ما تنطق النادلتان من ألوان الطعام .

أتراك يتعبك أن أعيد عليك القول إن ايلين كانت جميلة . . . انها لو ملكت من الثياب ما يساوي بضع مئات من الدولارات ، والتحقت بموكب عرض ، ووقعت عينك عليها هناك ، لسارعت إلى ترديد ما أقول .

كان رواد مطعم بوجل بأسرهم عبيداً لها . وكانت تستطيع تلبية طلبات ست موائد كاملة في نفس واحد . . . وكان بعض المتعجلين من الرواد ، يلتزمون الاناة لكي يتمتعوا بالتطلع إلى قوامها النشط الرشيق ، والذين فرغوا من الأكل ، يطلبون المزيد منه ، حتى يتاح لهم وقت أطول للتمتع ببريق ثغرها البسام . وكان كل رجل يرتاد المطعم - وأغلب رواده من الرجال - يحاول أن يدمغ عليها طابعه .

وكانت ايلين قادرة على تبادل الملح والفكاهات مع اثني عشر رجلاً في وقت واحد ، وكل ابتسامة ترسلها ، تستقر فيما صادفها من قلوب كطلقات مدفع رشاش . ودون أن يؤثر ذلك أقل أثر ، في تلبيتها لما يطلب منها من كل ما يسلق أو يقلى ، أو يشوى على النار ، أو يؤكل طرياً ، وبأي مقدار كان .

ومع ذلك القصف والغزل والتبادل المرح للفكاهات والنكات ، كاد مطعم بوجل يستحيل إلى صالون ، ايلين كوكبه الساطع ، ومدام ريكامييه فيه . وإذا كان الرواد العابرون تسبيهم ايلين الفاتنة ، فان العملاء الدائمين كانوا منها بمنزلة العشاق ، وكانت المنافسة عليها على

www.alkottob.com

أشدها بين هؤلاء العملاء الدائمين . وهي ولو انها كانت تستطيع أن تواعد من شاءت منهم كل ليلة ، فقد كانت تكتفي بقبول دعوتين على الأقل من كل أسبوع ، تذهب في احداهما إلى مرقص ، وفي الأخرى إلى مسرح تمثيل . . وقد أهدى إليها أحد السادة ضخام الأجسام ، وكانت تلقبه هي وتيلدى فيما بينهما بالتيس ، خاتماً من فيروز . . . ووعدها شخص آخر كانتا تلقبانه بالطفل ، وكان يعمل سائقاً لعربة من عربات النقل ، أن يهدي إليها كلباً عندما يفوز أخوه بعطاء النقل في التاسع من الشهر . وسألها مرة ذلك الرجل الذي يطلب دائماً لحم الخنزير والسبانخ ، والذي قال انه سمسار في البورصة ، ان تصحبه إلى أوبرا برسيفال .

وقالت ايلين وهي تدير وجوه الرأي في هذه الدعوة مع تيلدى : أن يكون في أصبعي قبل أن أضع غرزة في ثوب الزفاف ، أليس ذلك من الحكمة ؟ أحسبه كذلك! »

ولكن ما وراء تيلدى ؟

في خلال الدخان واللغط ورائحة الكرنب التي تملأ المعاطس في مطعم بوجل ، كان ثمة ما يمكن بالتقريب أن يسمى مأساة قلب . فتيلدى بأنفها الأفطس ، وشعرها الأصفر المغبر ، وبشرتها التي ترعرع فيها النمش ، وقوامها الشبيه بكيس السماد ، لم تكن قد صادفت معجباً بعد ، فما من رجل واحد تبعها بعينيه وهي تجتاز المطعم رائحة غادية ، اللهم إلا في الحين بعد الحين ، عندما يحملقون فيها بوحشية تحت تأثير الجوع ، واستعجالاً للطعام . وما هم أحد منهم بمداعبتها بفكاهة على الإطلاق . ولم يحدث قط أن تمنى لها رجل صباح الفل كما كانوا يفعلون مع ايلين . وطالما اتهموها إذا ما توانت في احضار البيض ، بالسهر مع خنزير محظوظ . وما أهدى إليها أحد قط خاتماً من فيروز ، أو دعاها إلى أوبرا برسيفال النائية المجهولة .

لقد كانت تيلدى نادلة طيبة يحتملها الرجل كشر لابد منه ، ويحادثها من يجلس إلى مناضدها في اقتضاب ، وفي حدود ما

www.alkottob.com

يقتبسونه من قائمة الطعام ، فإذا بدت ايلين الفاتنة ، رفعوا أصواتهم بألفاظ يتقاطر الشهد منها ويفوح العبير . فإن غابت عن أعينهم لحظة تقلقوا في مقاعدهم ، وأداروا أعينهم بعيداً عن تيلدى وقوامها المتداعي ، إلى حيث تكون ايلين ، لعل قوامها الساحر يضفي على اللحم والبيض لذة ، ويحيلهما إلى رحيق .

وقنعت تيلدى بأن تبقى كادحة مهملة ، ما بقيت ايلين تتلقى الزلفى والمديح . فان أنفها الأفطس ، كان وفياً للأنف الاغريقي الدقيق في وجه ايلين . وكانت تخلص لايلين ، وتسعد برؤيتها مسيطرة على القلوب ، صارفة للرجال على السيجار والحلوى فان أقبحنا شكلاً ، يحلم في أعماقه بأمير أو أميرة ، لا يشاركه فيه أو فيها شريك .

وفي صبيحة أحد الأيام دخلت ايلين إلى المطعم خلسة ، وفي عينها كدم ، فأبدت تيلدى من الجزع عليها ومواساتها ما كان خليقاً أن يبرئ عين الضرير .

وقالت ايلين : «هذا صنع الطفل ، فبينما أنا في طريقي إلى منزلي أمس ، تبعني وقطع علي الطريق ، وصرفته ببرود فتوقح ، واستمر في متابعتي ، وعاد إلى الغزل من جديد ، فصفعته صفعة قوية على خده ، ففعل بعيني ما ترين . أهي بشعة حقاً يا تيل ؟ كم أكره أن يراها مستر نيكولسون عندما يقبل في العاشرة للشاي» .

واستمعت تيلدى إلى هذه المغامرة في لهفة واعجاب ، فان رجلاً ما لم يحاول أن يتبعها قط . وقد كانت آمنة حيثما خرجت في أية ساعة من الساعات الأربع والعشرين . ويالها من سعادة أن يقطر المرأة رجل يؤذي عينها في معركة غرام .

وكان بين عملاء بوجل شاب يدعى سيدرز ، يشتغل عاملاً في مغسلة ثياب . وكان سيدرز هذا نحيفاً ، أجلح ، يبدو كأنه نازل لفوره من فوق حبل المغسلة ومن تحت المكواة . ولكن فشل في أن يسترعي انتباه ايلين ، فكان يجلس عادة في إحدى مناضد تيلدى ، ويهب نفسه للصمت المطلق والسمك المسلوق!

www.alkottob.com

وذات يوم دخل سيدرز المطعم للغداء ، وفي فمه رائحة الجعة ، ولم يكن بالمطعم من رواده غير اثنين أو ثلاثة ، وعندما فرغ سيدرز من التهام سمكته ، نهض من مقعده ، وأحاط بذراعه خصر تيلدى ، ثم قبلها بقحة وصوت مسموع ، وخرج الشارع مشيراً إلى المغسلة بأصبعه ، ثم هرول إلى مدينة الملاهي بغية التسلية .

وتحجرت تيلدى في مكانها بضع لحظات ، ثم تنبهت إلى ايلين وهي تلوح بسبابتها في وجهها قائلة :

– ماذا دهاك يا تيلدى . . ؟ أيتها الفتاة الشقية الماكرة! إنك تتحولين إلى كائن خطر . ويلوح لي أنك ستسرقين بعض أصحابي ، وقد أصبح لزاماً علي أن أفتح عيني عليك يا سيدتي . . منذ الآن . .!

لقد طفرت في لحظة من مجرد محب يائس متواضع إلى ند لايلين القوية . وانها اليوم لسابية رجال ، وهدف لسهام كيوبيد وملاك خجول في وليمة من ولائم الرومان . إن الرجل أخيراً قد أحاط خصرها بنجاح ، والتذ قبلة شفتيها ، وها هو ذا سيدوز بحبه المفاجئ قد مثل لها معجزة جمعت في لحظة مجهود غسال في يوم ، عندما أخذ ثوبها القديم القذر فغسله وجففه ونشاه وكواه ، وأعاده إليها مطرزاً بالوشى كأنه ثوب فينوس ربة الهوى والغرام . .

وتورد النمش على وجنات تيلدى ، وأطلت روحها من عينيها البراقتين ، فإن ايلين نفسها لم يسبق لها أن قبلت أو خوصرت في المطعم على رؤوس الاشهاد . . ولم تستطع تيلدى أن تصبر على كتمان هذا السر البهيج ، فانتهزت فرصة من خفة الحركة داخل المطعم ، وذهبت إلى مكتب بوجل ، وعيناها تلتمعان ، وحاولت أن تنفى عن ألفاظها كل أثر للزهو والفخار ، وهي تقول :

– لقد أهانني اليوم أحد السادة فخاصرني وقبلني . .

وقال بوجل وهو يجاهد في فتح مكتبه بعنف :

– أو حدث ذلك . . ؟ لك علاوة ريال على أجرك الأسبوعي منذ الأسبوع التالي . .!

www.alkottob.com

وفي الوجبة الرئيسية التالية كانت تيلدى وهي تقدم الطعام لمعارفها من الرواد ، تقول لكل منهم في استحياء :

– إن سيدا أهانني اليوم في المطعم فخاصرني وقبلني . .

وقد تلقى الرواد هذا الخبر بأساليب مختلفة : فمنهم من شك فيه ، ومنهم من هنأها عليه ، ومنهم من حول إليها مجرى الدعابة التي كانت وقفاً على ايلين . وانتفخ قلب تيلدى.بين ضلوعها ، وقد لاحت لها في النهاية ، أبراج الحب شامخة على خط الأفق ، في ذلك السهل المعتم الذي كانت تتجول فيه بلا أمل منذ عهد طويل .

وانقطع مستر سيدرز عن التردد على المطعم يومين نجحت خلالهما تيلدى في إظهار نفسها بمظهر المرأة التي تحب وتغازل . . فاشترت الأشرطة الحريرية ، وصففت شعرها على طريقة ايلين ، وضيقت محيط خصرها خمسة سنتمترات ، وملأ صدرها فزع جارف ولكنه لذيذ ، هيأ لها أن سيدرز قد يقتحم المطعم فجأة ويقتلها رمياً بالرصاص ، فلا بد أنها شغفته حباً ، والحب كثيراً ما يدفع المحب التهور إلى الشطط إذا غار .

حتى ايلين نفسها لم يسبق لها أن أصيبت برصاصة مسدس ، ولذلك تمنت تيلدى ألا يطلق سيدرز عليها النار ، فقد ظلت وفية لايلين ، وهي لا تحب أن تحظى دون صديقتها بهذا الامتياز . .

وفي الساعة الرابعة من عصر اليوم الثالث دخل مستر سيدرز المطعم ، وما به مرتاد سواه ، وكانت تيلدى تملأ أوعية الخردل وايلين تعد الفطائر في مؤخرة المطعم . فسار المستر سيدرز إلى حيث وقفتا ، ورفعت تيلدى عينيها فرأته ، وشهقت ، ثم ضربت صدرها بملعقة الخردل . وكانت ترشق في شعرها مشطاً أحمر ، وتحيط جيدها بعقد أزرق يتدلى على نحرها منه قلب من الفضة .

واحمر وجه المستر سيدرز وظهر عليه الارتباك ، فوضع إحدى يديه في جيب البنطلون ، والأخرى على طبق من أطباق الفطائر ، وقال :

– «مس تيلدى . أريد أن أعتذر إليك عما فعلته ذلك المساء ، وأقول لك الحق أني كنت ثملا ، ولولا ذلك لما فعلته . وما كنت لأصنع

www.alkottob.com

ما صنعت مع سيدة ، وأنا لمفيق . لذلك آمل يا مس تيلدى أن تقبلي عذري ، وان شيئاً من ذلك ما كان يحدث لو كنت أعي ما أفعل ، ولم يكن علي للشراب سلطان »

وبهذا الاعتذار المهذب ، تراجع المستر سيدرز ، وخرج من المطعم ، ورحل شاعراً أنه قد أصلح الأمر .

ولكن تيلدى هوت على إحدى المناضد وراء الحاجز ، بين قطع الزبد وفناجين القهوة ، يكاد قلبها يسيل من صدرها تنهدا وحسرات ، إلى حيث يعود إلى ذلك السهل المعتم الذي يتحول فيه أبدا أصحاب الشعر الأصفر المغبر والأنوف الفطساء . وخلعت مشطها من شعرها وقذفت به إلى الأرض ، وصبت على سيدرز كل ما كانت تنطوي عليه من زراية واحتقار . سيدرز هذا الذي تلقت قبلته كما لو كانت قبلة رائدها أو أمير أحلامها ، في فردوس الخيال ، فاتضح لها أن القبلة قبلة لم تقصد ، ومن فم سكير . وهذا البلاط الخيالي الذي كانت تتبوأ سريره لم يحرك ساكنا ، فلا بد اذن أن تبقى أميرة نائمة إلى الأبد!!

بيد أنها لم تفقد كل شيء . فقد أحاطتها ايلين بذراعها ، بينما كانت تيلدى المحمرة تشق طريقها بين قطع الزبد لتتلقى يد صديقتها .

وقالت ايلين التي لم تدرك الموقف على حقيقته :

– لا داعي للانزعاج يا تيل ، ان سيدرز بوجهه الذي يشبه رأس اللفت لا يستحق منك كل هذا . إنه لا يشبه السادة في شيء ، وإلا لما اعتذر لك على الإطلاق! »

www.alkottob.com

كيوبيد والساعة وهارون الرشيد

جلس الأمير ميشيل – أمير ولاية فاليلونا – على دكته المختارة في المتنزه العام ، يشعل الحياة في عروقه نسيم ليالي سبتمبر البارد ، لأن رواد المتنزه بدمائهم الآسنة كانوا يفرون إلى بيوتهم هرباً من برد الخريف المبكر . وكان القمر يطلع لتوه من وراء أسقف المنازل التي تحد الميدان من الشرق . والأطفال يضحكون ويلعبون حول النافورة ذات الرذاذ الدقيق ، والحشرات تتلاغى حيث تنتشر الظلال دون اكتراث بنظرات البشر ، ونغم يئز كالطنين صادر عن ناي يعزف في منعطف قريب ، وعلى أرباض المتنزه الصغير المسحور كانت السيارات تنش وتموء ، والقطارات الفاخرة تزأر زئير الأسود والنمور باحثة عن مكان تغزوه ، ومن فوق قمم الأشجار أشرق وجه ساعة ضخمة مستديرة مضاءة في برج بناء أثري قديم .

كان نعل الأمير ميشيل قد بلى يتحدى قدرة أي اسكاف ، ولو عرضت ثيابه على تاجر من تجار الخرق ، لأبى أن يساوم عليها بأي ثمن . وكان الوضر الذي خلفه على وجهه اهمال لحيته أسبوعين ، خليطاً من الرمادي والأسمر والأحمر والأخضر المشوب بالصفرة ، كما لو كان يتألف من مجموعة تبرعات من شعر كل فتيات فرقة غنائية هزلية! وما عاش قط رجل بلغ من الغنى الفاحش إلى الحد الذي يلبس فيه قبعة ارث من قبعة الأمير ميشيل .

جلس الأمير على دكته المختارة ، وابتسم ، فقد كانت له فكرة تواسيه : إنه يملك من المال ما يكفي لشراء كل قصر من تلك القصور المواجهة الضخمة المتقاربة ذات النوافذ المضيئة لو شاء ، وانه يستطيع أن ينافس في الذهب والسيارات والجواهر والكنوز الفنية والضياع والأطيان ، أي قارون من ملوك المال في هذا الحي المزهو مانهاتان . وأن مجموع ما يمتلكه لا يدركه العد والاحصاء ،

www.alkottob.com

وان في قدرته أن يؤاكل حكاماً من ذوي العروش والتيجان . وان الدنيا بما فيها من زينة وفن ، وصحبة مختارة ، ونفاق ومحاكاة ، وحفاوة غيد ، وتكريم كبراء ، وثناء حكماء ، وملق ، وتقدير ، وحظوة ، ومتعة ، وجاه ، هو وما في الحياة من رحيق يتجمع كله في قرص من شهد الوجود ، ينتظر الأمير ميشيل ، رهن إشارة منه إذا شاء ، ولكن مشيئة سموه اختارت له الجلوس على دكة المتنزه في هذه الاسمال والاوضار! وذلك أن شجرة الحياة لما ذاق ثمارها ، الفاها مرة في فمه ، فآثر أن يهبط من جنته إلى أمد ، يبحث عن سلوى على مقربة من قلب هذه الدنيا الخافق الاعزل .

كانت هذه الأفكار تسبح حالمة في خيال الأمير ميشيل وهو يبسم من خلال أوضار لحيته المختلفة الألوان . وفي جلسته هذه ، وفي أسماله التي لا يحسده عليها أفقر المتسولين ، كان يشغف بدراسة الإنسانية ، ويجد في انكار الذات لذة لا يجدها في الغنى والجاه وكل ما أضفت عليه الحياة من آلاء ، وكانت مسلاته الكبرى أن يخفف من هموم الناس ، وأن يغدق من خيراته على من هم أهل لها إذا مسهم الضر ، وأن يبهر أعين التعساء بما لم يتوقعوه ولا حلموا به من عطاياه ، التي كانت تشبه على الحقيقة عطايا الملوك وأن توخى فيها العدل والحكمة!

وعندما وقعت عين الأمير ميشيل على وجه الساعة الضخمة المضيئة من قمة البرج ، شابت ابتسامته على ما فيها من ايثار لمحة من لمحات الاحتقار . إن الضخامة كانت طابعا لأفكار الأمير ، وكان يقابل بهزة من رأسه خضوع البشر إلى تلك المقاييس الزمنية بما فيها من جور واستبداد ، ولكم كان يحزنه أن يرى الناس يروحون ويغدون حثاثا خائفين تسيطر عليهم تلك العقارب المعدنية الصغيرة في الساعات .

وقدم بعد حين شاب يرتدي ملابس السهرة ، فجلس على الدكة الثالثة من دكة الأمير ، وظل يشد الأنفاس من سيجارة نصف ساعة في سرعة عصبية ، ثم استغرق في النظر إلى وجه الساعة المضيئة من وراء الشجر ، بادي الاضطراب . ولاحظ الأمير في أسى أن علة اضطرابه ترتبط بشكل ما بعقارب الساعة المتحركة في بطء .

ونهض سموه ، فذهب إلى دكة الشاب وخاطبه قائلاً :

www.alkottob.com

– «عفواً إذا تحدثت إليك ، فقد لاحظت أنك مهموم . وقد يلطف من فضولي بعض الشيء أن أقول لك أن أسمي ميشيل وأرث عرض فاليلونا ، وقد جئت متنكراً بالطبع كما لابد أن تدرك من مظهري . ومن سجاياي أن أمد يد العون إلى الآخرين متى آنست أنهم أهل له ، ولعل الكرب الذي أصابك يكون أكثر طواعية للزوال إذا تضافرت عليه جهودنا!!»

ونظر الشاب إلى الأمير مستبشراً ، وان كان بشره لم يمح ما زوى بين عينيه من قطوب ، ثم ضحك له ، وحتى الضحك نفسه لم يبسط أساريره ، وان كان قد تقبل هذه التسلية المؤقتة أحسن قبول ، فقال له بروح طيبة :

– «يسعدني لقاؤك أيها الأمير . أن تنكرك ما فيه ريب ، وأني لأشكرك على تطوعك لمعونتي ، وان كنت لا أرى مجالاً لهذا العون . انها مسألة شخصية ، ولكن هذا لن يقلل من شكري على كل حال!»

وجلس الأمير ميشيل بجوار الشاب . وكان ينهر أحياناً على مثل هذا التصرف ولكن في غير عنف ، فإن وقار سلوكه وألفاظه كان يحول دون ذلك .

وقال الأمير :

– «إن الساعات أغلال تصفد أقدام البشر . لقد رأيتك تلح في النظر إلى الساعة . ان وجهها وجه طاغية ، وأرقامها أشد زيفاً من أرقام ورق اليانصيب ، وعقاربها محتل يواعدك على ما يؤدي بك إلى الخراب . فدعني ألتمس منك أن تحطم عنك أغلالها المهينة ، وأن تكف عن ايكال زمامك إلى هذا الدليل العديم الاحساس ، المصنوع من الصلب والنحاس!»

قال الشاب :

– «ليس من عادتي أن اكل زمامي إليها ، وان كنت أحمل ساعة على الدوام ، اللهم الا عندما ارتدي هذه الأسمال البراقة» .

قال الأمير في تعال شامخ :

– «إني أعرف الطبيعة البشرية كما أعرف العشب والشجر . أنا أستاذ في الفلسفة والآداب ، وفي يدي مفاتح الحظ والسعادة ، وقل من التعاسات البشرية مما يعييني تلطيفه أو قهره . لقد قرأت محياك ووجدت فيه الشرف والنبل ، كما وجدت الهم والضيق ، فأرجوك أن تقبل مني العون أو النصيحة ، ولا تنقض ما

www.alkottob.com

أتوسمه في وجهك من ذكاء ، باتخاذ مظهري أداة للشك في قدرتي على دفع ما يؤودك من هموم » .

وتطلع الشاب إلى الساعة من جديد ، ثم عبس حتى اكفهر ، ثم تحولت نظرته الحائرة من الساعة المضيئة فوقعت في اهتمام على بيت مبنى بالآجر الاحمر من أربع طباق ، بين صف الأبنية المواجهة له ، وكانت أستار النوافذ مرخاة ، وبدت من خلالها في كثير من الغرف أضواء خابية ، فقال مؤمنا في يأس وفروغ صبر :

– « التاسعة إلا عشر دقائق! »

ثم أدار إلى البيت ظهره ، ونهض فمشى خطوة أو خطوتين في اتجاه مضاد .

– « انتظر! »

أصدر الأمير ميشيل هذا الأمر إلى الشاب في صوت فيه من السطوة والنفوذ ما جعل الشاب المضطرب يدور على عقبيه ، ويضحك ضحكة حزينة .

وغمغم يحدث نفسه : « سأعطيها هذه الدقائق العشرة ثم انصرف » .

وقال للأمير في صوت مسموع :

« إني أنضم إليك في لعن كل الساعات يا صديقي ، وأضيف إليها كل النساء »

وعقب الأمير في هدوء :

– « اجلس . إني لا أقبل منك هذه الإضافة ، فان النساء هن الخصوم الطبيعيون للساعات ، وبذلك يصبحن حلفاء لأولئك الذين يبغون الفكاك من ربقة هؤلاء الشياطين الذين يقيسون حماقاتنا ، ويضيقون علينا مجال اللذات . فان رأيت أن تثق بي فإني أرجوك أن تروي لي قصتك » . .

وألقى الشاب نفسه على الدكة ضاحكاً ضحكة المغامر ، وقال في لهجة المهتم الساخر :

– « أترى هذا البيت الذي بين نوافذه العليا ثلاث بها نور ؟ حسناً . لقد كنت أقف في هذا البيت في الساعة السادسة مع الفتاة التي أنا – أعني التي كنت خطيبها . ولقد أثمت في حقها يا أميري العزيز . فقد كنت شاباً طائشاً ،

www.alkottob.com

وسمعت بطيشي ، وسألتها العفو بطبيعة الحال . إننا نحن الرجال نحب أن نلتمس العفو دائماً من النساء . ألسنا كذلك أيها الأمير ؟ . . وقالت هي أن هناك شيئاً واحداً محققاً ، وهو أن أغفر لك تماماً أو لا أرى وجهك أبداً ، وما من وسط بين الغايتين ، ويمكنك أن تتطلع إلى النافذة الوسطى في الطابق الأعلى الساعة الثامنة والنصف تماماً ، فإذا وجدت وشاحاً حريرياً أبيض منشوراً فيها فاعلم أني قررت الغفران لك ، وأن المياه قد عادت إلى مجاريها ، وأنك تستطيع أن تجيء . وإن لم تر الوشاح فاعتبر أن ما بيننا قد انتهى إلى الأبد » .

وأختتم الشاب بمرارة :

– «ومن أجل ذلك كنت أرقب هذه الساعة ، وقد فاتت ثلاث وعشرون دقيقة على الموعد المحدد ، فهل تعجب بعد ذلك من همي يا أميري . . . يا أمير الشوارب والأسمال ؟ »

قال الأمير ميشيل في صوته الرصين :

– «دعني أعيد عليك أن النساء هن الخصوم الطبيعيون للساعات ، فالساعة نقمة والمرأة نعمة ، وقد تظهر الإشارة بعد قليل! »

قال الشاب في قنوط :

«محال ، حتى على مالك من سلطان . انك بالطبع لا تعرف ماريان ، انها تضبط مواعيدها بالدقيقة على الدوام . ولقد كانت هذه الخصلة من خصالها أول مزية جذبتني إليها . وهأنذا بدلاً من أن أجد الوشاح أجد الهواء . وكان من الأحرى أن أدرك منذ الثامنة والدقيقة الحادية والثلاثين أن الأوزة استوت ولا داعي للانتظار . سأهاجر إلى الغرب في قطار الحادية عشرة والخامسة والأربعين الليلة مع جاك ملبورن ، فان الطير قد أفلت ، وسأشتغل في مزرعة جاك حينا ثم انتهي إلى اقليم كلوندايك (بالاسكا) . . . فأعمل هنا وأحتسي الويسكي .

وطاب مساؤك يا . . . . يا أيها الأمير! »

أمسك الأمير بكم معطف الشاب ضاحكاً ضحكته الغامضة اللطيفة المملوءة بالادراك ، وفي عينيه بريق متألق يرق حتى تغيم شفافيته ويمتلئ بالأحلام ، وقال له في خشوع :

– «انتظر حتى تدق الساعة ، ان لي من الثروة والنفوذ والمعرفة فوق ما

www.alkottob.com

للكثيرين ، ولكني أرهب دقات الساعة ، فابق معي حتى تدق ، ان هذه المرأة ستكون لك ، وهذا ما عد من الوارث الشرعي لعرض فاليلونا ، وفي يوم زواجك سأمنحك مائة ألف ريال وقصراً على نهر الهدسون ، ولكن أشترط ألا يكون في هذا القصر ساعات ، فانها تقيس حماقاتنا وتحد مالنا من لذات . فهل توافق على هذا ؟ »

قال الشاب في مرح :

– « بالطبع – إنها مقلقة على أية حال ، لا تفتأ تنق وتدق وتضطرب إلى تأخير العشاء »

وتطلع مرة أخرى إلى ساعة البرج ، وكانت عقاربها على التاسعة إلا ثلاث دقائق .

قال الأمير ميشيل :

– « أظنني سأغفو قليلاً ، فقد كان اليوم منهكاً! »

ومدد نفسه على الدكة في يسر من تعود ذلك ، وقال والنوم يغالب أجفانه :

– « عندما تحدد يوم زواجك تعال إلي ، فسأعطيك صكا بالمبلغ » .

قال الشاب جاداً :

– « أشكرك يا صاحب السمو ، يبدو أنني لن أحتاج إلى قصر الهدسون ، بيد أني أقدر هبتك على كل حال! »

وأغرق الأمير ميشيل في نوم عميق ، ووقعت قبعته المهلهلة من الدكة إلى الأرض ، فرفعها الشاب ووضعها على الوجه الأشعث ، وحرك جارحة من جوارح الأمير كانت تسترخي وضع أبعث إلى الراحة . ثم قال استرخاء غريباً ، فردها وهو يشد الأسمال الرثة على صدر الأمير : « يا لك من شيطان مسكين! »

ودقت ساعة البرج تسع دقات في صوت مفزع رنان وتنهد الشاب مرة أخرى ، وتطلع في نظرة أخيرة إلى البيت الذي ضم آماله المنهارة ، ثم صاح صيحة انطلقت من فمه فيها ألفاظ نابية عبر بها عن فرط السرور . .

فمن النافذة الوسط بين النوافذ العليا ازدهر في حمرة الشفق رمز الغفران

www.alkottob.com

والفرح الموعود في رايته المائجة الخفاقة الساحرة البيضاء .

ومر في هذه اللحظة رجل قصير بدين كالكرة ، مستريح البال ، حثيث الخطا في طريقه إلى بيته غير عارف بمباهج الأوشحة الحريرية الخفاقة على أرباض المتنزهات ذات الضوء الضئيل ، فسأله الشاب :

– «هل تتفضل بأن تخبرني عن الوقت يا سيدي ؟»

وأخرج الرجل ساعته مبعداً إياها بخبث حتى يطمئن إلى سلامتها وقال :

– «الثامنة وتسع وعشرون دقيقة ونصف يا سيدي»

وبحكم العادة ، نظر إلى ساعة البرج واستأنف يقول :

– «يا لله . .! هذه الساعة فيها تقديم نصف ساعة . .! انها أول مرة تختل فيها منذ عشر سنوات . أما ساعتي فما خالفت قط حتى الآن . .»

ولكن الرجل كان يكلم الهواء : وتلفت فرأى محدثه ظلاً أسود يفنى بسرعة في الظلام صوب بيت أضيئت نوافذه العليا الثلاث .

***

وأقبل شرطيان في الصباح في طريقهما إلى دركيهما ، وكان المتنزه خالياً إلا من شبح مقوض ، مستلق على دكة ، غارق في المنام ، فوقفا ينظران إليه . .

وقال أحدهما :

– «هذا مايك المدمن ، إنه يدخن «الجوزة» كل مساء وهو نزيل المتنزه منذ عشرين عاماً ، وأظنه يهبط من ملكوته الآن . .!»

ومال الآخر ناظراً إلى شيء هش متفتت في يد النائم ، فقال :

– «لقد استهلك ما قيمته خمسون ريالاً على أية حال ، وبودي لو عرفت هذا النوع من المخدر الذي يدخنه . .»

ثم . . طاخ . . طاخ . . طاخ : هوت عصا الحقيقة على نعال البرنس ميشيل أمير فاليلونا . .

www.alkottob.com

هدنة

كان القمر يتألق على النزل الخاص الذي تملكه مسز مورفى والربيع في ابانه ، والرياض منضرة بورق الشجر الجديد ، والزهور تتفتح ، والهواء يرق ، والموسيقى تزدهر في كل مكان .

وكانت نوافذ نزل مسز مورفى مفتحة ، وعدد من النزلاء يجلسون في درج المدخل على حصر مستديرة منبسطة كالفطائر .

وفي نافذة من نوافذ الطابق الثاني المطلة على الطريق ، كانت مسز ماكاسكى تنتظر زوجها ، وقد برد العشاء على المائدة ، فأعدت برودته مسز ماكاسكى .

وعاد السيد ماكاسكى في التاسعة يحمل معطفه على ذراعه ، وغليونه بين ثناياه ، بعد أن اعتذر للنزلاء الجالسين على الدرج لاقلاق راحتهم ، وهو يتلمس بينهم مكاناً على درج السلم لنعله الكبير .

وعندما فتح باب غرفته واجهته مفاجأة ، فبدلاً من أن تستقبله أغطية القدور وأدوات المطبخ كما تعود ، استقبله سيل من الألفاظ ليس إلا .

وأدرك مستر ماكاسكى أن قمر الربيع اللطيف قد رقق صدر زوجته . .

وانطلقت قذائف الابدال الشفية لأدوات المطبخ على الصورة الآتية :

– «لقد سمعتك . . انك تستطيع أن تعتذر لرعاع الطريق عن مس نعلك لحواشي ثيابهم . ولكنك قد تخطو على رقبة زوجتك دون أن تفكر حتى في تقبيل قدمها . لقد رأيتك تفعل ذلك وأنا مطلة من النافذة ،

www.alkottob.com

والطعام يبرد . وأي طعام هذا الذي نحصل عليه ، وأنت تنفق أجرك كله على الخمر ، ومحصل الغاز جاء اليوم مرتين مطالباً بما له . . »

قال مستر ماكاسكى وهو يرمي معطفه وقبعته على مقعد :

– « إن ضوضاءك يا امرأة مسبة لشهوتي للطعام ، فأنت عندما تعمدين إلى البذاءة تخلخلين أساس المجتمع ، وانه ليس أكثر من استثارة بفظاظة سيد فاضل عندما تطالبينه بالشجار مع سيدات يزحمن الطريق ، ويحلن دون الخطو بينهن . ألا يمكن أن تدخلي وجهك هذا – وجه الخنزير – من النافذة ، وتعدي الطعام . . ؟ »

ونهضت مسز ماكاسكى متثاقلة فمضت إلى الموقد ، وكان في سحنتها نذير للسيد ماكاسكى ، فان زاويا فمها كانت في العادة عندما تتدلى فجأة ، وتصبح كشعبتي بارومتر ، تنبئ عما لابد من حدوثه من قذف الآنية والملاعق والسكاكين . .

وقالت : « وجه خنزير . .! أهو كذلك . . ؟ »

ثم قذفت وجه سيدها بمقلاة مملوءة بشرائح اللفت ولحم الخنزير . .!

وما كان السيد ماكاسكى حديث العهد بسرعة البديهة ، فقد عرف ما يعقب التمهيد ، فرد الاهانة بقطعة من لحم الخنزير المشوي مزخرفة بورق البرسيم ، وجدها على المائدة ، وكان الجواب الذي تلقاه عليها فطيرة من فطائر الزبيب في صحن من الفخار . وأصابت ما تحت عين السيدة ماكاسكى قطعة ضخمة من الجبن سددها زوجها باحكام . وعندما استجابت بابريق ممتلئ بالقهوة الساخنة ذات العبق الخفيف ، كان المفروض أن تضع الحرب أوزارها بهذا الختام ، تبعاً لتقاليد المائدة .

ولكن السيد ماكاسكى لم يكن من رواد المطاعم الرخيصة . وللبوهيميين الفقراء إذا شاءوا أن يختموا طعامهم بالقهوة ، ويخطئوا هذا الخطأ الاجتماعي الفاحش ، أما هو فأسمى منهم وأحرص على آداب اللياقة . إن طاسة الماء التي تغسل فيها الأيدي والفاكهة لم تكن غريبة عليه ، ورغم أن مثل هذه الطاسات لم يكن لها وجود في منزل مسز

www.alkottob.com

مورفى ، فقد كان لها فيه نظائر ، فكاد يفلق رأس منازلته في بيت الزوجية بحوض الغسيل الحجري ، لولا أنها زاغت منه في الوقت المناسب ، وتناولت هي الأخرى مكواة ناطت بها كل آمالها في أن تكون نشوة الكأس التي تضع حداً لهذه المبارزة الغذائية ، ولكن صرخة عالية معولة متصاعدة من أسفل السلم دفعتها هي وزوجها إلى أن يكفا عن النزال في شبه هدنة عقدت بغير اتفاق .

وعند ركن البيت على ناصية الطريق ، كان الشرطي كليرى يقف ناشراً إحدى أذنيه ، مصغياً لصليل الآنية التي يتقاذفها الخصمان .

وقال الشرطي لنفسه :

- «هذا جون ماكاسكى وقرينته في معمعة القتال من جديد . أتراني أصعد وأفض النزاع . . ؟ كلا . . إنهما زوجان من حقهما أن ينعما بحياة ما أقل فيها ملذات الأزواج . ولن تدوم المعركة طويلاً ، ومن المؤكد أنهما سيتحتم عليهما استعارة صحون أكثر من الجيران ليبقياها مشتعلة الأوار . . »

وفي نفس اللحظة التي كان الشرطي يحدث فيها نفسه هذا الحديث ، شقت أجواز الفضاء تلك الصرخة المتصاعدة من الطابق الأسفل ، منذرة بالويل والثبور ، وقال الشرطي كليرى لنفسه وهو يخطو مسرعاً في الاتجاه المضاد :

- «لعلها هرة تموء » .

وفزع النزلاء الجالسون على سلم المدخل . ولما كان توني محامياً في شركة تأمين ، تولى مهنته فيها وراثة عن أبيه ، وكان التحقيق في دمه ، فقد دخل البيت ليكشف عما وراء هذا الصراخ ، وعاد ينبئ النزلاء أن مايك ابن مسز مورفى قد ضاع ، وأعقبته مسز مورفى نفسها منطلقة من الباب حاملة تسعين كيلو جراماً من الدموع واللوعات ، ضاربة بقبضتها الهواء ، مستصرخة السماء لضياع أربعة عشر كيلو جراماً من النمش والفساد . . وسمها نذالة إذا شئت ، أن يعمد السيد توني في هذا الوقت الحرج إلى الآنسة بيردى بائعة البرانيط النمسوية ،

www.alkottob.com

فيجلس إلى جوارها ، وتتلاقى أيديهما كما تتلاقى أيدي المحبين . . أما العانستان الأختان - ويلش - اللتان كانتا تشكوان على الدوام مما يشيع في مدخل البيت من ضوضاء ، فقد تساءلتا في لهفة عما إذا كان أحد قد بحث عن الغلام الضائع في ساعة الحائط!

ونهض الصاغ جريج من جلسته بجوار زوجته البدينة على أعلى درجة في السلم ، وزر سترته وصاح في تعجب :

- « أضاع الغلام حقاً . . ؟ إني سأقلب عليه المدينة ظهراً لبطن » . .

وكانت زوجته لا تأذن له في مبارحة المنزل إذا جن الليل . . ولكنها الآن قالت له في صوت رجالي عال :

- « اذهب يا لودفيج . إن الذي يستطيع أن ينظر إلى فجيعة هذه الأم دون أن ينهض لنجدتها ، لابد أن يكون قلبه قدّ من حجر » .

وقال الصاغ :

« أعطيني يا حبيبتي ثلاثين أو ستين دانقاً . . فإن الطفل إذا ضل فكثيراً ما يبالغ في الشطط ، وقد أحتاج إلى ركوب الأوتوبيس » .

أما العجوز دنى الساكن في البهو الصيفي للطابق الرابع ، والذي جلس على أدنى درجات السلم يحاول قراءة جريدة تحت ضوء مصباح الشارع ، فقد قلب صفحة ليكمل قراءة موضوع إضراب النجارين . وصرخت السيدة مورفى تخاطب القمر :

- « مايك . . مايك . . أيها القمر . .! بالله ألا أخبرتني أين فلذة كبدي الصغير . . ؟ »

- « متى رأيته آخر مرة ؟ »

وأجابت السيدة مورفى معولة :

- « أوه . . منذ الأمس أو لعله منذ أربع ساعات ، لست أدري ، ولكنه ضاع ، مايك ولدي الصغير . . إنه كان يلعب في الشارع هذا الصباح أو لعل ذلك كان بالأمس . . ؟ إني مغرقة في العمل ، ومن العسير تذكر الأوقات ، وقد فتشت البيت من السطح إلى القبو فلم

www.alkottob.com

أعثر له على أثر . . لقد ضاع . أواه . .! الا بحق السماء الا . . . »

لكم صبرت المدينة شامخة صامتة عابسة منذ الأزل على سباب الشاتمين . انهم يتهمونها انها قاسية كالحديد ، وأن صدرها لا يخفق برحمة ، ويقارنون شوارعها بغابات موحشة ، وصحارى رمالها من حمم البراكين ، ولكن الصدفة الصلبة في جسم السرطان تحتها لحم شهي لذيذ . . ولعل استعارة أخرى كانت تكون أنسب للمقام ، ولكن مع ذلك فما ينبغي لأحد أن يمتعض من هذا التشبيه ، وما كنا لنشبه أحداً بالسرطان لو لم يكن له من المخالب المفترسة ما يبرر هذا الاتهام .

إن قلب الإنسانية لا تمسه كارثة أروع من ضلال طفل صغير ، قدماه ضعيفتان حائرتان ، والطريق موحش وما أكثر ما فيه من مزالق . .

اندفع الصاغ جريج إلى ناصية الطريق ، ومنها إلى الشارع الكبير ، حيث وقع على حان ، وقال للخمار :

– إلي بكأس من الويسكي . . أرأيت شيطاناً صغيراً في السادسة من عمره أعوج الساقين ، قذر الوجه ، ضاع في مكان ما بهذه النواحي . . أرأيته بالله . . ؟ »

وظل السيد تومي محتفظاً بيد الآنسة بيردى وهو يجالسها على السلم! وقالت الآنسة :

– « تصور هذا الطفل الصغير العزيز وهو يضيع من حضن أمه ، ومن يدري فقد يكون وقع تحت سنابك جياد راكضة . أليس هذا فظيعاً . . ؟ »

وقال تومي وهو يعصر يدها مؤيداً :

– « بالضبط . . فما قولك في أن أخرج وأساعد في البحث عنه . . ؟ »

قالت الآنسة بيردى :

– « لا بأس ، ولكن تذكر يا مستر انك مغامر جسور ، فماذا لو أصابك في حماستك حادث . . ؟ وماذا يكون من . . » .

www.alkottob.com

واستمر العجوز داني يقرأ عن اتفاقية التحكيم ، متابعاً السطور بأصبعه . .

وفي واجهة الطابق الثاني كان آل ماكاسكى قد أطلا من النافذة يلتقطان أنفاسهما استعداداً للجولة الثانية ، والسيد ماكاسكى يغترف اللفت المطبوخ من صداره بسبابته المعقوفة ، في حين أن زوجته كانت تدعك عينا لم يفدها لحم الخنزير المشوي وما فيه من ملح الطعام . لقد سمعا الصرخة الصاعدة من تحت ، فأطلا برأسيهما من الشباك .

وقالت السيدة ماكاسكى في صوت رزين :

- « إن مايك الصغير قد ضاع ، ذلك الصبي الحلو الشقي العفريت » . .

قال السيد ماكاسكى وهو يطل من النافذة :

- « لعله نسي في مكان ما . هذا شيء سيء . . إن الأطفال ليختلفون من هذه الناحية عن النساء ، فلو كانت امرأة تلك التي فقدت لما همني شيء ، فانهن يتركن وراءهن الهدوء والسلام . . »

وتجاهلت السيدة ماكاسكى الضربة ، وأمسكت بذراع زوجها وقالت في حنان :

- « إن ابن السيدة مورفى الصغير مفقود . . . وانها لمدينة ضخمة على طفل ضائع ، انه في السادسة من عمره ، وهذا ما كان ينبغي أن يكون عمر ولدنا لو كنا أنجبنا ولداً منذ ستة أعوام » . . .

قال السيد ماكاسكى وهو يتأمل في هذه الحقيقة :

- « بيد أننا لم ننجب قط »

- « هبه اننا فعلنا يا جون ، وفكر فيما كان يغمر قلبينا من الأسى هذه الليلة لو أن ولدنا (فيلان) خرج من البيت فالتقمته المدينة ، فلم يوجد في مكان ؟ » .

قال السيد ماكاسكى :

- « إن هذا الذي تقولين حمق وخرق . . فإن ولدنا كان ينبغي أن يسمى باسم أبي الشيخ المقيم في كانتريم »

www.alkottob.com

قالت السيدة ماكاسكي بلا غضب :

- «أنت كاذب فإن أخي كان يساوي مائة من آل ماكاسكي الفلاحين ، وولدنا يجب أن يسمى باسم خاله . . »

ومدت رأسها من النافذة ونظرت إلى ما يجري تحتها من لغط وضوضاء . ثم قالت بلطف :

- «جون إني آسفة ، لقد تسرعت معك . . »

قال زوجها : «إنما تسرعت الفطائر واللفت والقهوة ، ولعلها كانت تصبيرة ، وعلى أي حال فلا بأس ولا تعودي إلى البهتان »

وزلقت السيدة ماكاسكي ذراعها تحت أبط زوجها ، وشبكت يدها في يده الغليظة . وقالت :

- «أتسمع ولولة السيدة مورفي المسكينة . . ؟ إنه لشيء فظيع أن يفقد طفل صغير في هذه المدينة الضخمة الرهيبة ، ولو كان الضائع ولدنا فيلان لحطمت صدري بيدي حسرات »

وسحب مستر ماكاسكي يده من يدها بغلظة ، وأحاط بها أكتاف زوجته وقال في خشونة :

- «هذا هو الحمق بعينه ، ولو أن ولدنا بات خطف أو حدث له حادث لقتلت نفسي . ولكننا لم ننجب أطفالاً قط ، ولئن كنت عاملتك بفظاظة أحياناً ، وخشونة أحياناً أخرى يا جودي ، فانسي واغفري ما كان » .

وعادا يطلان من النافذة جالسين ، ويشهدان المأساة التي تمثل تحتهما .

وطالت جلستهما هذه ، وماج الشارع الضيق بأفواج من الناس يتساءلون ويملأون الجو شائعات ، وتخمينات متضاربة . . والسيدة مورفي تذرع الطريق بينهم جيئة وذهاباً كجبل ندي يتدفق على سفحه شلال من الدموع ، رائع الهدير ، والرسل يغدون ويروحون . .

وتضاعفت الضوضاء والصياح فجأة . . فتساءل السيد ماكاسكي :

- «لا أدري ماذا جد الآن يا جودي . . ؟ »

- «إنه صوت السيدة مورفي ، تقول انها عثرت بصغيرها مايك

www.alkottob.com

نائماً وراء لفة من البساط تحت السرير . .!»

وقهقه ماكاسكى وهو يقول ساخراً :

- «ها هو ذا ولدك فيلان . . أتظنين ولدي بات كان على شقاوته يرضي لنفسه مثل هذه الألاعيب . . إن الولد الذي لم نرزق به قط ، إذا ضل أو سرقته قوى المدينة الخفية ، فلك أن تسميه فيلان ، ما دام يختفي تحت السرير كالجرو الأجرب»

ونهضت السيدة ماكاسكى متثاقلة ومضت نحو صوان الأطباق وزوايا فمها مدلاة . .

وعندما انفض الزحام ظهر الشرطي كليرى من وراء ركن البيت وبدت عليه الدهشة عندما صوب أذنه نحو مسكن آل ماكاسكى ، حيث تعالى كما كان من قبل صليل المكاوي والأطباق ، ورنين أدوات المطبخ ، وأخرج الجاويش كليرى ساعته ، وقال متعجباً :

- «وحق الأفاعي السارحة ، أن ماكاسكى وامرأته يتعاركان منذ ساعة وربع الدقيقة ، انه قد يفوقها قوة عضل ، ولكنها تفوقه قطعا سلاطة لسان» .

وعاد الشرطي كليرى من حيث أتى . . .

وطوى العجوز دانى جريدته وصعد السلم عجولاً ، عندما رأى السيدة مورفى تهم بإغلاق الباب بالمزلاج ، كما كانت تفعل كل ليلة .

www.alkottob.com

ماجي تدخل الدنيا

كان «نادي ورقة البرسيم الاجتماعي» يقيم مرقصاً في مساء السبت من كل أسبوع ، في دار «جمعية خذ وهات الرياضية» ، بالجانب الشرقي من نيويورك . ولكي يباح لك ارتياد هذا المرقص يجب أن تكون عضواً في «جمعية خذ وهات» أو . . إذا كنت منتمياً إلى ذلك الفريق من الراقصين الذي يبدأ الرقص بالقدم اليمنى[1] ، فيكفي أن تكون عاملاً في مصنع راينجولد لصناعة علب الورق ، يضاف إلى ذلك أن كل عضو من أعضاء نادي ورقة البرسيم كان له الحق في أن يصحب معه رفيقاً من الجنس الآخر من غير أعضاء النادي لرقصة واحدة ، وكان أكثر أعضاء «جمعية خذ وهات» يصحب كل منهم الفتاة التي تستجيب له من مصنع الورق ، وقليل من الغرباء عن هؤلاء وهؤلاء من يفخر بأن قدمه وطئت يوماً ما أعتاب هذه المراقص الدورية .

وكانت ماجي تول لا تذهب إلى هذه المراقص إلا بصحبة أنا ماكارثي ورفيقها ، وكانت علة ذلك خمول عينيها ، وسعة فمها ، وقلة خبرتها في الرقص . . وكانت ماجي وأنا تعملان جنباً إلى جنب في مصنع العلب ، وكانتا صديقتين حميمتين ، ومن أجل ذلك كانت أنا تلزم رفيقها جيمي بيرنس بأن يمر على بيت ماجي مساء كل سبت حتى يتاح لصديقها ارتياد المرقص في صحبتهما .

وكانت «جمعية خذ وهات الرياضية» مخلصة لاسمها تمام الاخلاص ، فقد كان بهو الجمعية في شارع أوركارد مزوداً بكل الاختراعات البانية للعضلات . وبهذه العضلات المدربة تعود الأعضاء أن يشتبكوا مع دوائر الشرطة والمؤسسات الاجتماعية والرياضية المنافسة في

---

١ - كناية عن النساء.

www.alkottob.com

مباريات ممتعة . وبغض النظر عن العمل الجدي الذي كان بنات مصنع العلب يقمن به ، فقد كان لمراقصهن الاسبوعية عمل آخر هو الترفيه ، والتستر على ما يجري أحياناً من معارك وراء الجدران . ولو أنك كنت من الصفوة التي يباح لها أن تتهادى في السلم الخلفي المظلم ، فلعلك ترى مباريات بين متلاكمين من الوزن الثقيل ، على أتم وأدق ما يمكن أن تكون عليه هذه الملاكمات في حلبات الصراع المرخص بها من القانون .

وكان مصنع العلب يغلق أبوابه أيام السبت في الثالثة بعد الظهر . وفي عصر يوم من هذه الأيام عادت أنا وماجي إلى بيتيهما معاً . فلما وصلا إلى بيت ماجي قالت أنا كالعادة :

- « كوني مستعدة في السابعة تماماً يا ماجي ، فسنأتي جيمي وأنا لاصطحابك » .

ولكن ما هذا ؟ فعوضاً عن كلمة الشكر المتواضعة المألوفة ، من الفتاة التي لا رفيق لها ، نصبت الفتاة رأسها في الهواء ، وبدت على جانبي فمها الواسع نقرتان ممتلئتان بالزهو ، وفي الأعين العسلية الخابية التمع شيء أقرب ما يكون للبريق ، وقالت ماجي :

- شكراً يا أنا . . لا عليكما مني ، أنت وجيمي ، هذه الليلة ، فلي صديق فاضل سيمر بي ليصحبني إلى المرقص » .

وانقضت أنا الظريفة على صديقتها تهزها ، وتلاغيها ، وتستفسرها بتضرع عما كان . . ماجي تول توفق إلى رفيق ؟ ماجي الساذجة الصغيرة المخلصة غير الفاتنة . . ماجي الحلوة غاية الحلاوة كصديقة ، المنسية أشنع النسيان في الدعوات إلى المرقص ، وفي جلسات الليالي المقمرة على دكك المتنزه العام الصغير! . . كيف حدث هذا ؟ ومتى حدث ؟ ومن هذا الرفيق ؟

قالت ماجي ووجنتاها تتضرجان بحميا أول أعناب تقطفها من كروم كيوبيد :

- « سترين الليلة . إنه آية في الرشاقة والأناقة ، وهو أطول من جيمي بخمسة سنتيمترات ، وسأقدمه لك فور وصولنا إلى المرقص » .

www.alkottob.com

وكانت أنا وجيمي من أوائل أعضاء «نادي ورقة البرسيم» وصولاً إلى المرقص هذه الليلة ، وتركزت عيون أنا المشرقة على باب القاعة لتخطي أول نظرة تلقى على محظى صديقتها المختار .

وفي الثامنة والنصف تهادت مس تول إلى القاعة مع رفيقها ، وسرعان ما اتجهت عيناها إلى صديقتها أنا وهي تتأبط ذراع صاحبها الوفي جيمي :

وصاحت أنا :

– هلا . . هلا! . . الآن ماج لم تقع . . كلا! أليس صاحبها رشيقاً ؟ أظن ذلك . . أليس أنيقاً . . انظر إليه . . »

قال جيمي بصوت محنق كأن فيه (صنفرة) :

– «هيا أرخي لنفسك العنان . . أنشبي فيه أظفارك إن كانت لك رغبة فيه ، ان الوافدين الجدد يكسبون لأول مرة دائماً في غمرة الزحام . لا عليك مني ، فما أظنه يعصر كل الليمون[1] هه! »

– «اخرس يا جيمي . . إنك لتدرك ما أريد . إني فرحة لماجي ليس إلا ، فهو أول صديق تضع يدها عليه ، وها هما ذان قادمان »

وتهادت ماجي عبر القاعة كيخت «محندق» يقطره طراد فخم . فقد كان رفيقها يبرر بحق كل مدائح صديقتها فيه ، فهو أطول خمسة سنتيمترات من الرياضي الوسط من أعضاء (جمعية خذ وهات) وشعره الفاحم جعد ، وعندما يجود بابتسامته المتواترة تسطع عيناه وثناياه . بيد أن شبان «نادي ورقة البرسيم» لم يكن إعجابهم ينصب على محاسن المرء بمقدار ما ينصب على حظه من الشجاعة ، وانتصاراته في الملاكمة ، ومناعته على سطوة القانون التي تهدد الملاكمين على الدوام . وكان عضو الجماعة الذي يقتاد إلى عجلته عذراء من عذارى مصنع العلب يحتقر مظاهر الرقاعة التي لم تكن تعتبر وسائل شريفة للنزال . لقد كانت ضخامة عضلات العضد ، وتحدي السترة لأزرارها من فوق الصدر ، والايمان الراسخ بسيطرة الرجل في دستور الخليقة ، وحتى

---

١ – كناية عن انه لن يستبي كل الفتيات، وانه سيجد غيرها من بينهن.

www.alkottob.com

العرض الرزين للسيقان المعوجة ، كانت هذه كلها ذخائر الظرفاء في نادي ورقة البرسيم ، وأسلحتهم المعترف بفعلها الساحر في معارك كيوبيد الغرامية . ومن أجل ذلك نظروا إلى انحناءات هذا الزائر الجديد ، ووقفاته المغرية بشيء من الوجوم .

لقد قدمته ماجي لهم على انه «مستر تيرى أو سوليفان . . . صديق من أصدقائي» وراحت تطوف به في البهو ، وتقدمه لكل قادم من أعضاء «نادي ورقة البرسيم» وأوشكت أن تصبح جميلة بذلك البريق العجيب الذي يسرق في عين كل فتاة تصادف أول صديق ، وعين كل هرة تلاقي أول فأر .

ودارت هذه الكلمة من فم إلى فم بين بنات المصنع : «لقد وجدت ماجي تول رفيقاً في النهاية . فدقوا النفير لرفيق ماج» وكذلك عبر أعضاء «جمعية خذ وهات» عما يشعرون به من زراية مشوبة بقلة المبالاة .

كان من عادة ماجي في هذه المراقص الأسبوعية أن تدفئ رقعة بعينها من الجدار من طول ما تلصق بها ظهرها ، وكم كانت تغالي في الاحساس بالامتنان والتعبير عنه كلما دعاها إلى الرقص شخص يؤثر على نفسه ، فترخص متعته وتزعزعها بهذه المغالاة . بل انها تعودت أن ترى أنا وهي تغمز بكوعها جيمي المتردد ، لتدفعه دفعاً إلى دعوة صديقتها لرقصة تدوس فيه قدميه . ولكن بغاثها استنسر الليلة ، فأصبح تيرى أو سوليفان الأمير الساحر الظافر ، وأصبحت ماجي تول الفراشة التي نشرت جناحيها لطيرانها الأول . ولئن الاختلاط لا ينبغي أن يريق قطرة واحدة من رحيق تلك السعادة المكللة بغلائل الورد ، التي توجت ماجي في ليلتها الوحيدة البالغة أوج الكمال .

وحاصرتها الفتيات لتقدمهن إلى صاحبها . وبدأ فجأة شبان «نادي ورقة البرسيم» يرون فتناً في مس تول عميت عنها عيونهم سنتين ، فراحوا ينحنون لها ، ملتمسين تسجيل أنفسهم للرقصة التالية .

وكتبَ الفوز لماجي ، وإن جفت مباهج الليلة لتيرى أو سوليفان قبل الأوان . لقد صفف شعره الجعد ، ووقف أمام المرآة أمام نافذة حجرته

www.alkottob.com

المفتوحة سبع وقفات في عشر دقائق يعرض محاسنه ومزاياه ، وقد رقص كما ترقص الآلهة ، وافتن في التأنق والسلوك وإحاطة نفسه بجو خاص ، وتدافعت من شفتيه الألفاظ . . ورقص رقصتين متواليتين مع فتاة مصنع العلب التي جاءت مع دمبسي دونفان .

إن دمبسي كان رئيس الجمعية وكان يرتدي ملابس السهرة ، وكان في قدرته أن يرفع «البار» إلى مستوى ذقنه بيد واحدة مرتين ، وكان واحداً من أركان حرب «مايك أوسوليفان الكبير» ، وما كان يهوله الهول قط . وما من شرطي جرؤ على القبض عليه يوماً ما . وإنما كان كلما شج رأس بائع فاكهة على عربة يد ، أو كسر ركبة عضو من أعضاء جمعية هنريك سويني للرحلات والآداب ، جاء إليه شرطي يقول : «إن الضابط يحب أن يراك في المكتب بضع دقائق عندما يحلو لك يا ولدي دمبسي» .

وفي المكتب تكون طائفة متنوعة من السادة ، يضعون السلاسل الذهبية على صدورهم ، والسيجار الأسود في أفواههم ، فيروي أحدهم عن الحادث قصة مضحكة ويطلق سراح دمبسي ، فيعود ليمارس في نصف ساعة رفع الأثقال . فالرقص إذن على سلك مشدود عبر شلالات نياجارا ، كان أحمد عاقبة من الرقص مرتين مع فتاة دمبسى دونوفان . وتجلى على الباب في الساعة العاشرة «مايك أوسوليفان الكبير» بوجهه المستدير ، حيث وقف خمس دقائق يتأمل المكان . وكان من عادته في كل حفلة أن يقف وقفته هذه يبتسم للفتيات ، ويقدم السيجار الفاخر للشبان المرحين .

وما أن وقف بالباب الليلة حتى كان دمبسي دونوفان بجواره يصب في أذنه سيلاً من الألفاظ ، فنظر مايك إلى الراقصين بإمعان ثم ابتسم ، وهز رأسه وانسحب ، وسرعان ما وقفت الموسيقى وتبعثر الراقصون على المقاعد المثبتة في الجدران ، وتخلى تيرى أوسوليفان عن فتاة جميلة ، وعاد هو إلى حيث كانت ماجي . . .

وبإحدى الغرائز التي لابد أن نكون قد ورثناها عن الرومان ، تلفت

www.alkottob.com

كل من بالقاعة إليهما دون استثناء ، وطاف بالقاعة كلها شعور خفي بأن معركة على الأبواب ، فقد اقترب اثنان أو ثلاثة من أعضاء «جمعية خذ وهات» في أكمامهم التي ضاقت بأذرعهم المفتولة ، من تيرى أوسوليفان .

وقال دمبسي : «لحظة يا مستر أوسوليفان . لعلك سعيد . في أي مكان قلت انك تقيم ؟»

كان الخصمان كفرسى رهان ، وان بدا أن دمبسي يزيد على منافسه عشرة أرطال . وان كان أوسوليفان أعرض وأسرع فلدمبسي عين في برودة الثلج ، وفم كالشق يدل على السيطرة والسلطان ، وفك يعز على التحطيم ، وسحنة لها جمال الغيد وقلة اكتراث الأبطال . وتسعرت في وجه الزائر نار لم يستطع كتمان ما يشوبها من تهكم واحتقار . وكأنهما كانا خصمين بحكم قانون سن منذ كانت الصخور في كيانها في الفخامة ، آية في القوة ، آية في انعدام النظراء ، حتى ليصعب المصهور . فقد كان كلاهما آية بينهما التفضيل . وما تتسع الدنيا لكليهما ، وما ينبغي إلا لواحد منهما البقاء .

وقال أوسوليفان بوقاحة : «إني أقيم في شارع جراند ، ولا يعسر عليك أن تلقاني في بيتي ، فأين تقيم أنت ؟!»

وتجاهل دمبسي السؤال واستأنف : «تزعم أن اسمك أوسوليفان ، مع أن مايك الكبير يقول أن عينه لم تقع عليك قط»

قال فاتن المرقص : «ما أكثر ما لم تقع عليه عينه!»

وقال دمبسي في بحة حلوة : «ان آل أوسوليفان في هذه البقعة يعرف بعضهم بعضاً في العادة . وقد أتيت مرافقاً لعضو من أعضائنا السيدات . ونحن نطالب بفرصة لإصلاح هذا الوضع ، فإن كانت لك شجرة نسب فدعنا نر بضعة براعم من آل سوليفان التاريخيين نابتة عليها ، أو لعلك تؤثر أن نقتلعها منك من الجذور ؟»

وأجاب أوسوليفان في هدوء : «أظن من الخير لك أن تعني بنفسك» .

www.alkottob.com

وبرقت عينا دمبسي ، وأشار إليه بسبابة ملهمة كأنما خطرت له فكرة باهرة ، وقال في لهجة ودية : «لقد فقستها الآن ، انها مجرد هفوة صغيرة ، فلست من آل سوليفيان ، وإنما أنت قرد ذو ذنب ، فسامحنا إن كنا لم نعرفك منذ البداية» .

وومضت عين أوسوليفان ، وتهيأ للقيام بحركة مباغتة ، ولكن آند كوجهان ، كان متأهباً لها فقبض على ذراعه .

وأومأ دمبسي برأسه «لا ندى ووليم ماكماهان سكرتير النادي ، وحث خطاه نحو باب في مؤخرة القاعة ، ولحق بالجمع الصغير عضوان آخران من «جمعية خذ وهات» ، وأصبح تيرى أوسوليفان الآن في قبضة مجلس اللوائح والمراجع الاجتماعية ، فتحدثوا إليه في لطف وايجاز وقادوه من الباب الخلفي .

وتحتاج هذه المناورة من أعضاء «نادي ورقة البرسيم» إلى كلمة ايضاح . فقد كان خلف قاعة الجمعية غرفة صغيرة يستأجرها النادي لتسوية الخلافات الشخصية التي تنشأ في قاعة الرقص ، رجلاً لرجل ، وبأسلحة الطبيعة ، وتحت إشراف المجلس ، وما من سيدة تستطيع أن تزعم أنها شاهدت معركة ما في مرقص «نادي ورقة البرسيم» خلال عدة أعوام ، وقد تكفل بذلك السادة من أعضاء النادي .

قام دمبسي وأعضاء المجلس بهذا الجزء التمهيدي في مهمتهم في يسر وسلاسة جعلا أكثر من في القاعة لا يلحظون خاتمة الظفر الاجتماعي الذي ناله أوسوليفان الفاتن . وكان من بين هؤلاء ماجي التي راحت تبحث عن رفيقها بين الراقصين .

وقال لها روزكاسيدي : «لقد اختفى . ألم تشهدي ما كان ؟ إن دمبسي دونوفان قد تلاحى مع صاحبك ، وساقه في خطوة الراقص إلى حجرة المذبح . قولي بالله : كيف ترين يا ماجي تصفيف شعري على هذا المنوال ؟»

ودقت ماجي بيدها على صدرها ثم قالت في أنفاس مضطربة :

– «ذهب ليصارع دمبسي ؟ يجب أن يوقفا . ان دمبسي دونوفان

www.alkottob.com

لا يستطيع أن ينازله ، انه قاتله لا محالة »

قال روز :

- « وماذا يهمك ؟ ألا تحدث في كل مرقص معارك ؟ »

ولكن ماجي انطلقت كالسهم تشق طريقها المتعرج بين أفواج الراقصين حتى أتت الباب الخلفي فاقتحمته ، ثم رمت ثقلها على باب المعترك فدان لها ، وتبينت عينها من النظرة الأولى ما يجري هناك . . أعضاء مجلس اللوائح والمراجع واقفون جانباً ممسكين بالساعات ، ودمبسي دونوفان يتراقص بأكمامه المشمورة خفيف الخطو ، حذراً حذر الملاكم العصري على أقل من مرمى ذراع من خصمه في حين أن تيرى أوسوليفان واقف مشبك الذراعين على صدره وفي عيونه السوداء نظرة قاتلة . وبدون أن تطامن ماجي من سرعة دخولها اندفعت صارخة إلى الأمام . . اندفعت في الوقت المناسب لتمسك بذراع أوسوليفان وتتعلق به وهو يرتفع فجأة ، فيطيش منه الخنجر الطويل اللامع الذي سله من صدره .

ووقع الخنجر على الأرض فرن عليها . وياله من حادث أن يشهر سلاح الفولاذ في غرف « جمعية خذ وهات! » إنه حادث لا نظير له من قبل ، وقف له الكل دقيقة دون حراك . ثم ركل آندى كوجان الخنجر ببوز حذائه في ذهول ، فعل العالم الأثري بسلاح تاريخي لا علم له به .

وعندئذ لفظ أوسوليفان من بين شفتيه كلمة لم يدرك معناها أحد ، فتبادل دمبسي والمجلس النظرات ، ثم نظر دمبسي إلى أوسوليفام بلا غضب كما ينظر المرء إلى كلب ضال ، وأومأ برأسه إلى الباب قائلاً في اقتضاب :

« إلى السلم الخلفي يا جيوسيبي . . وسيرمي لك أحد ما قبعتك وراءك! »

ومشت ماجي إلى دمبسي دونوفان ، وفي وجنتيها نقطتان حمراوان براقتان تسيل عليهما الدموع ، ثم حدقت في عينيه بشجاعة وقالت وقد خبا ما كان في عينيها من إشراق حتى مع البكاء :

- « لقد كنت أعرف ذلك يا دمبسي . كنت أعرف أنه افريقي ،

www.alkottob.com

وان اسمه توني سبينلي ، وقد بادرت بالدخول عندما علمت أنكما ستتلاكمان . ان هؤلاء الافريقيين يتسلحون بالخناجر على الدوام ، ولكنك لن تفهمني يا دمبسي . انني ما كان لي صاحب في حياتي قط ، ولقد مللت القدوم في صحبة أنا وجيمي كل ليلة ، فتآمرت معه على أن يسمي نفسه أوسوليفان ، وأحضرته معي ، وكنت أدرك أن دخوله المرقص كاسباني محال . أظن من الخير أن أستقيل من النادي الآن ؟ »

والتفت دمبسي لآندي كوجان وقال مشيراً إلى الخنجر :

– ارم قاطعة الجبن هذه من النافذة ، وقل لهم في الداخل أن مستر أوسوليفان قد تلقى إشارة تليفونية بالذهاب إلى مرقص تاماني!

ثم استدار إلى ماجي يقول :

– وأنت يا ماجي هل لديك مانع من أن أوصلك إلى البيت ؟ ما رأيك في مساء السبت التالي ؟ هل تأتين إلى المرقص في صحبتي إذا جئت إليك ؟

وما أعجب السرعة التي استحالت بها عينا ماجي من الخمول إلى الإشراق من جديد ، وهي تجيبه متلعثمة :

– أصحيح يا دمبسي : هل ترفض البطة أن تعوم ؟

www.alkottob.com

غرفة المنور

أول ما تريك مسز باركر في بيتها ردهاته المزدوجة . وأنت لن تجرؤ على مقاطعتها في وصفها لمحاسن هذه الردهات ، ومزايا السادة الذين سكنوها ثماني سنوات . وقد تحاول أن تعترف لها همهمة انك لست طبيباً ولا جراح أسنان ، فتتلقى مسز باركر هذا الاعتراف بصورة تجعلك تنصرف إلى الأبد عن شعورك الطيب القديم نحو أبويك اللذين أهملا تعليمك مهنة من المهن اللائقة بردهات مسز باركر .

ثم تصعد وراءها في درج السلم إلى الطابق الثاني ، وترى غرفته الخلفية التي ايجارها ثمانية دولارات ، ولكنك مع اقتناعك بوصفها الخاص بغرف الطابق الثاني ، أن الغرفة تساوي الاثني عشر ريالاً التي كان يدفعها فيها على الدوام مستر توزنبري ، حتى غادرها أخيراً ليشرف على مزرعة برتقال لأخيه في فلوريدا ، بالقرب من بالم بيتش ، حيث تشتي دائماً مسز ماكنير ، ساكنة الغرفة الأمامية ذات الحمام الخاص . . مع اقتناعك بكل هذا ، فانك تقول متلعثماً انك تريد غرفة بايجار أقل .

وتقودك مسز باركر - إذا أنت صمدت لاحتقارها - إلى غرفة مستر سكيدر الواسعة في الطابق الثالث . ورغم أن غرفة مستر سكيدر لم تكن خالية ، إذ كان يؤلف فيها مسرحياته ، ويدخن سجائره ، لا يبرحها طوال اليوم ، فان كل راغب في استئجار غرفة كان حتماً عليه أن يزور غرفة المستر سكيدر ، ليعجب بسجوفها . وفي أعقاب كل زيارة كان مستر سكيدر يضطر بدافع الذعر الناشئ من احتمال طرده ، إلى دفع علاوة جديدة على الايجار .

ثم . . ثم إذا بقيت لك ساق تحملك ، ويدك المحمومة في جيبك متشبثة

www.alkottob.com

بالدولارات الثلاثة المنداة بالعرق ، وصوتك المبحوح يعترف بفقرك المذل الشنيع ، فان مسز باركر تنفض يدها من ارشادك ، وتصيح صياح الأوزة البرية منادية « كلارا » ثم توليك ظهرها وتنزل . ومن ثم تقودك كلارا الخادم الزنجية على السلم المكسو بالسجاد ، المؤدي إلى الطابق الرابع ، فتريك غرفة المنور ، التي تشغل سبعة في ثمانية أقدام ، من وسط البهو ، ويقوم على كل من جانبيها مخزن مظلم لسقط المتاع .

كان في الغرفة سرير حديدي ضيق ، وحمالة مغسل ، وكرسي ورف يستعمل صواناً ، وتبدو لك جدرانها الأربعة كأنما تنطبق عليك كجوانب نعش ، وتنساب يدك إلى عنقك ، وتشهق ، وتتطلع إلى أعلاها فتحس أنك تنظر إليه من قرار جب ثم تلتقط أنفاسك ثانية . ومن خلال زجاج المنور الصغير في سقف الحجرة ترى مربعاً صغيراً من اللانهاية الزرقاء .

وتقول كلارا في لهجة نصفها ازدراء ونصفها من ولاية ألاباما : « دولاران . . . . تفو! »

وجاءت مس ليسون ذات يوم تبحث عن غرفة ، وكانت تحمل آلة كاتبة ، صنعت لتحملها سيدة أضخم ، فقد كانت مس ليسون صبية صغيرة القد ، ظل شعرها وعيناها يكبران حتى بعد أن كف نموها ، وكأنما يقولان لها : « يا لله! لماذا لا تكبرين معنا ؟ »

وأرتها مسز باركر ردهتها المزدوجة ، وقالت لها مشيرة إلى مخدع في الجدار : « هنا يستطيع المرء أن يحتفظ بالهيكل العظمي أو المخدرات أو الفحم »!

وقالت مس ليسون وهي ترتعد : « ولكنني لست طبيبة ولا جراحة أسنان »!

وألقت عليها مسز باركر تلك النظرة المنكرة ، الراثية ، الساخرة ، الأشد برودة من الثلج ، والتي تدخرها لأولئك الذين فشلوا في الحصول على اجازات الطب وجراحة الأسنان ، ثم قادتها إلى الغرف الخلفية في الطابق الثاني .

وقالت مس ليسون : « ثمانية دولارات! يا للهول! إني لست أغا

www.alkottob.com

خان ، وان بدوت كذلك ، وما أنا إلا عاملة فقيرة ، فاريني شيئاً أعلى وأقل! »

ووثب مستر سكيدر عندما سمع طرقاً على الباب ، ناثراً على الأرض منفضة السجائر بما فيها من أعقاب .

وقالت مسز باركر وهي تبتسم ابتسامتها الشيطانية لملامحه التي شاع فيها الشحوب : « لا تؤاخذني يا مستر سكيدر ، فما كنت أعلم أنك هنا ، وقد سألت السيدة أن تلقي نظرة على سجوف غرفتك »!!

قالت مس ليسون وعلى ثغرها ابتسامة كابتسامة الملائكة : « إنها آية في الجمال » .

وبعد خروجها انهمك مستر سكيدر في تغيير بطلة آخر مسرحية له (لم تمثل) ، وكانت فرعاء سوداء الشعر ، إلى فتاة صغيرة القد ، لعوب لها ملامح مرحة ، وشعر كثيف براق .

وقال مستر سكيدر يحدث نفسه ، ونعلاه تواجهان سجوف الباب ، وقد استخفى في سحابة من الدخان كخنفس بحري يسبح في الهواء :

– « إن الممثلة آنا هيلد سترقص فرحاً بهذا الدور » .

وفي هذا الوقت كان نداء مسز باركر على كلارا يعلن على العالم بناقوسه الرنان حالة مس ليسون المالية ، وكان مارد أسود يقبض على ذراع الآنسة ، ويقودها في السلم المظلم إلى اللحد الذي تنجاب كوته العليا عن شعاع من النور ، ثم يغمغم بالكلمة المحملة بالسخرية والوعيد : « ريالان » .

وتنهدت مس ليسون قائلة :

– سآخذها » ، ثم ألقت بنفسها على السرير الحديدي العالي الصرير .

وكانت مس ليسون تخرج إلى عملها كل يوم ، ثم تعود في المساء حاملة أوراقاً مكتوبة تنسخها على الآلة الكاتبة ، ولكنها كانت تخلو من العمل أحياناً ، فتجلس على درج المدخل مع النزلاء الآخرين .

إن مس ليسون عندما صورت لم يخط لها في اللوح أن تسكن في غرفة منور ، فقد كان قلبها عامراً بالمرح ، وكان خيالها ممتلئاً بألطف وأغرب

www.alkottob.com

الأفكار . ولقد سمحت ذات مرة للمستر سكيدر أن يقرأ لها ثلاثة فصول من مهزلته العظيمة (التي لم تطبع) : «ليس هذا خدعة أو وارث الترام» . .!!

وكان الرجل من النزلاء يبتهجون كلما وجدت مس ليسون فسحة من وقتها لتجالسهم ساعة أو ساعتين على السلم ، ولكن المس لونج نكر التي تحتل درجة السلم العليا ، وتشتغل مدرسة في مدرسة شعبية ، وتعلق على كل ما تقوله لها بكلمة «حقاً!» كانت لا تشاطرهم هذا الابتهاج . وكذلك كان شأن مس دورن صاحبة الدرجة السفلى من السلم ، والعاملة في محل تجاري ، والتي تمارس صيد البط في مدينة الملاهي كل يوم أحد . وكانت مس ليسون تحتل الدرجة الوسطى من السلم ، فلا تكاد تأخذ مكانها حتى يتجمع من حولها الرجال .

وكان هذا بنوع خاص ديدن المستر سكيدر الذي اصطفاها خياله لتمثل دور البطلة في تمثيلية غرامية شخصية (لم تكتب) من واقع الحياة . والمستر هوفر البدين الخجول الأحمق الموفى على الخامسة والأربعين . وكذلك المستر ايفانس الشاب الذي يتصنع السعال الأجوف ليدفعها إلى رجائه أن يقلع عن التدخين . وفي الوقت الذي كان الرجال يصفونها بأنها ألطف وأظرف من على ظهر الأرض ، كانت صاحبتا الدرجتين العليا والسفلى يقابلن هذا الرأي بتحفظ شديد .

***

وإني لأتوسل للقارئ أن يترك القصة تتوقف هنيهة ، يظهر فيها معلن الأشخاص ، أمام الستار ، وتحت أضواء المسرح ، ليسكب دمعة حزينة على بدانة المستر هوفر ، وليقرع الطبول على مأساة السمنة الفاحشة ، ولعنة الضخامة الجسيمة ، وكارثة البدانة الهائلة!! إن الطن من شحم فالستاف[1] قد يشتمل على حب أكثر مما تحويه الأوقيه من هزال روميو . ولكن المحب أن حمد منه التنهد ، فهيهات أن يحمد منه اللهاث . وفي موكب الآلهة يساق البدين في حبائل موماس[1] ، فإن أشد القلوب إخلاصاً في الهوى يخفق سدى فوق كرش قطره متران . فتأخر يا هوفر . . تأخر . . إن هوفر الخجول

---

١ - فالستاف وروميو من شخصيات شكسبير، الأول منهما بدين والثاني نحيف.

www.alkottob.com

الأحمق الموفي على الخامسة والأربعين قد يحظى بهيلانه[٢] نفسها ، ولكن هوفر الخجول الأحمق الموفي على الخامسة والأربعين ، ببدانته الفاحشة لا يصلح إلا وقوداً للجحيم . تأخر فما من أمل لك قط يا هوفر .

وإذ يجلس نزلاء مسز باركر على السلم ذات أمسية من أمسيات الصيف ، تطلعت مس ليسون إلى السماء ، وصاحت وهي تضحك ضحكتها الصغيرة الطروب :

– هذا «بيلي جاكسون» . إني لأراه من هنا كذلك .

وتطلع الكل إلى الأعالي ، بعضهم ينظر إلى نوافذ ناطحات السماء ، وآخرون يبحثون عن طائرة ، يقودها من يدعي جاكسون .

ووضحت مس ليسون مرادها ، وهي تشير إلى السماء بأصبع صغير : «إنما أعني هذا النجم ، ليس النجم الكبير الساطع ، ولكن النجم الثابت الزرقة الذي بجواره . إني أراه كل ليلة من كوة المنور ، وقد سميته بيلي جاكسون» .

قالت مس لونج نكر : «حقاً! ما كنت أعلم أنك فلكية يا مس ليسون»

وأجابت الصبية المولعة بالتطلع للنجوم : «إني لأعرف ما يعرفه أي فلكي على طراز الأكمام المتوقع ارتداؤها في الخريف القادم بالمريخ» .

قالت مس لونج نكر : «حقاً!» إن الكوكب الذي تشيرين إليه هو النجم الثالث في مجموعة كاسيوبيا (الثريا ؟) ، وهو بالتقريب في القدر الثاني ، وعبوره في خط الزوال هو . .»

قال مستر ايفانس الشاب : «أوه . . أظن بيلي جاكسون اسماً أفضل» .

وقال مستر هوفر بصوت يتنزى احتقاراً لمس لونج نكر : «أحسب المس ليسون لها من الحق ما لأي من هؤلاء الفلكيين العجائز في تسمية النجوم» .

قالت مس لونج نكر : «حقاً!»

وعلقت مس دورن : «أترى هذا الكوكب من النيازك الراقية ؟ إني أصيب تسع بطات وأرنبا من عشر في مدينة الملاهي كل يوم أحد» .

قالت مس ليسون : «إنه لا يرى جيداً من هنا ، وحبذا لو رأيتموه من

---

١ – إله السخرية عند الاغريق.

٢ – غادة طروادة المعروفة في الأساطير.

www.alkottob.com

كوة غرفتي ، فلعلكم تعلمون أن النجوم قد ترى من قاع جب حتى في وضح النهار . إن غرفتي في الليل أشبه ما تكون بهوة منجم الفحم ، وان بيلي جاكسون ليبدو منها كالماسة الكبرى في دبوس تشبك به غادة الليل غلائل قميصها » .

ومر بعد ذلك حين لم تعد مس ليسون تحضر فيه رزم الأوراق الضخمة لنسخها في البيت . وبدلاً من أن تشتغل كلما خرجت في الصباح ، كانت تدور على المكاتب من واحد إلى آخر تذيب حشاشة قلبها تحت رذاذ الرفض القاسي الذي تتلقاه من غلمان هذه المكاتب بلا رحمة . ودام ذلك طويلاً .

حتى كان ذات مساء صعدت فيه مس ليسون الدرج متعبة ، في الساعة التي كانت تعود فيها إلى بيت مسز باركر على الدوام ، بعد أن تتناول عشاءها في مطعم . بيد أنها لم تكن ذاقت طعاماً هذا المساء .

وعندما دخلت الردهة لاقاها مستر هوفر ، فانتهز الفرصة السانحة وطلب يدها للزواج ، وكانت بدانته تكبس عليها كأنها جرف جليد ينهار ، فترنحت تكاد تسقط لولا أن تعلقت بالسياج ، وحاول أن يضم يدها إليه ، فنتشتها وصفعته على وجهه في كلال . ومضت تصعد السلم درجة درجة ، تجر نفسها جراً معتمدة على السياج . ومرت بباب مستر سكيدر وهو يعمل في تنقيح الحركة المسرحية لبطلته ميرتل ديلورم (مس ليسون) في هزليته (التي رفضت) بحيث تدخل المسرح من جانبه تتأود حتى تصل إلى جوار الكونت . وزحفت زحفاً على السلم المغطى بالسجاد حتى وصلت في النهاية إلى باب غرفة المنور ففتحته ودخلت .

وكانت من الضعف بحيث عجزت عن أن تشعل النور أو تخلع ثيابها ، فتهالكت على السرير الحديدي ، يكاد بدنها المنهار يعيا عن تحريك لوالب السرير . وفي هذا الجحر المظلم الذي هو مأواها ، فتحت أجفانها الثقيلة ببطء وتبسمت .

ذلك أن «بيلي جاكسون» كان يشرف عليها من كوة المنور في هدوئه وثباته وسناه . ومحا الوجود كله من حولها ، فغرقت في وهدة من الظلمة ، لا ترى فيها إلا ذلك الضوء المربع الخافت ، المحيط بالنجم الذي سمته ذلك الاسم

www.alkottob.com

المستغرب العقيم . وحدثت نفسها أن مس لونج نكر لم تجانب الصواب ، وأن هذا النجم ليس « بيلي جاكسون » ولكنه النجم الثالث من نجوم الثريا ، بيد أن نفسها لم تطاوعها أن تطلق عليه هذا الاسم الهزيل .

وبينما هي مستلقية على ظهرها ، حاولت عبثاً ، أن ترفع ذراعها مرتين ، وفي المرة الثالثة نجحت في أن تضع أصبعين نحيلين على شفتيها ، وتذرو قبلة في الهوة المظلمة ، أرسلتها إلى « بيلي جاكسون » ثم هوى ذراعها كليلا إلى حيث كان .

وغمغمت في ضعف :

– « الوداع يا بيلي . إنك تبعد ملايين الأميال ، ولا تسطع حتى مرة واحدة . ومع ذلك فقد بقيت أكثر الوقت حيث أراك في علاك ، الذي انعدم في عيني كل شيء فيه إلا الظلام . ألم تفعل ؟ . . ملايين من الأميال! . . الوداع يا بيلي جاكسون » .

إن كلارا الخادم الزنجية وجدت الباب مغلقاً في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي ، وفتحوه عنوة ، ولما فشل الخل ، وتدليك المعاصم ، وبخور الريش المحروق في إعادتها للحياة ، طلب أحدهم الاسعاف بالتليفون . . .

***

وقفت سيارة الاسعاف بعد لأى بالباب تعلن عن نفسها بقرع الأجراس ، وصعد السلم طبيب شاب قوي في معطف أبيض ، يبدو على وجهه السمح التأهب والنشاط والثقة ، ويختلط فيه الظرف بالعبوس .

وقال الطبيب باقتضاب :

– « يوجد طلب للاسعاف من رقم ٤٩ . . . هل من مصاب ؟ »

وقالت مسز باركر وهي تشد منخريها ، كما لو كان مصابها في حدوث شيء ببيتها هو أكبر مصاب :

– أجل يا دكتور . لا أستطيع أن أتصور ما بها ، وما من شيء فعلناه ردها إلى الحياة . . إنها صبية تدعى مس اليسى . . نعم مس اليسى ليسون . لم تسبق السكني في منزلي قط » .

وصاح الطبيب في صوت رهيب لم تتعوده مسز باركر :

– « أية غرفة ؟ »

www.alkottob.com

- «غرفة المنور . . إنها»

ومن الواضح أن طبيب الاسعاف كان ملماً بمكان غرف المناور ، فقد صعد السلم أربعاً أربعاً ، وتبعته مسز باركر بالبطء الذي يتلاءم وكبرياءها .

وقابلته على بسطة السلم الأولى ، وهو عائد ، يحمل على ذراعيه عالمة الفلك ، فوقف لحظة ترك فيها لمبضع لسانه المتمرن الحرية في كلمة قالها همساً ، فلم تكد تسمعها مسز باركر حتى انكمشت وتضاءلت كرداء وقع من حيث كان معلقاً على مسمار . ومنذ ذلك اليوم بقيت في بدنها وذهنها من هذه الكلمات غضون . وكثيراً ما كان الفضوليون من نزلائها يسألونها عما قال الطبيب فتجيب :

- «لقد كان ما كان . ولو أني أوتيت مغفرة على مجرد سماع ما قاله لكفاني» .

ومضى الطبيب بحمله يخط طريقه بين شرذمة الكلاب التي اجتذبها حب استطلاع هذا الطراد ، بل انهم فسحوا له في الطريق وتلاصقوا بالجدران مرتبكين ، لأن وجهه كان وجه شخص يحمل ميتاً من موتاه .

ولاحظوا أنه لم يطرح ذلك الهيكل الذي حمله على سرير السيارة المعد ، وكان كل ما قاله للسائق :

- «سق بسرعة الابالسة يا ويلسون» .

هذا كل ما كان . فهل وجدتم قصة فيه أيها القراء ؟ إنني قرأت نبأ صغيراً في صحف الصباح ، لعل آخر جملة فيه تعينكم كما أعانتني على مزج الحوادث بعضها ببعض .

جاء في النبأ أن مستشفى بلفى قد نقلت إليه فتاة شابة من رقم ٤٩ شرق شارع . . تعاني هزالاً شديداً نشأ من الجوع والحرمان . واختتم الخبر بهذه الكلمات :

- «إن الدكتور وليم جاكسون الطبيب الذي أشرف على إسعاف الحالة يقول ان الفتاة تتماثل للشفاء» .

www.alkottob.com

حب بالمراسلة

لم يكن الفصل ولا الساعة مما يسمح بالتردد على الحدائق ، ومن المحتمل أن تكون تلك الفتاة التي أخذت مكانها على مقعد بجوار ممر الحديقة ، إنما استجابت لحافز مفاجئ دعاها للجلوس برهة ، تستمتع فيها باشتهاء مقدم الربيع .

وجلست شاردة لا تتحرك ، وطافت بمحياها مسحة من الكآبة لابد أنها كانت حديثة المولد ، إذ أنها لم تنل بعد من ملاحة وجنتيها ونضرتهما ، ولم تقهر ذلك القوس الذي ينم عن العزم في شفتيها .

وأقبل شاب طويل القامة سريع الخطا ، يذرع الحديقة ، فاجتاز الممر الذي جلست بجواره الفتاة ، وكان يتبعه عن كثب صبي يحمل حقيبة ملابس . . . وما أن وقع بصر الشاب على الفتاة وهو يقترب منها يرقب أسارير وجهها ، ووجهه نفسه مسرح لمزيج من القلق والآلام . وعلى أنه مر من أمامها حتى لم يعد بينه وبينها إلا خطوات قلائل ، فإنه لم ير في ملامحها دليلاً على أنها شعرت بقدومه أو وجوده .

وظل سائراً حتى ابتعد عنها قرابة الخمسين متراً ، ثم توقف فجأة وجلس في مقعد آخر ، وألقى الصبي الحقيبة على الأرض ، وحملق في صاحبه بعينين ملؤهما المكر والحيرة . . وأخرج الشاب منديله فمسح جبينه ، وكان منديلاً جميلاً ، ولكن الجبين كان أجمل ، فقد كان الشاب وسيماً ترتاح العين لرؤيته . ثم قال للصبي :

- « أريد منك أن تحمل رسالة شفوية مني إلى تلك السيدة الشابة التي تجلس على ذلك المقعد . قل لها انني في طريقي إلى المحطة للرحيل

www.alkottob.com

إلى سان فرانسيسكو ، حيث أنضم إلى بعثة لصيد الوعول في آلاسكا . قل لها أنني منذ أمرتني ألا أكتب أو أتحدث إليها ، لم تعد أمامي إلا تلك المحاولة ، أتوسل بها إلى عدالتها ، أن تعيد النظر في قرارها ، ولو من أجل ما يربطنا من ذكريات . قل لها إن إدانة شخص ما ، ولفظه لفظ النواة ، دون أن يرتكب ذنباً ، وبغير أن تواجهه بالاسباب ، أو تمنحه فرصة للايضاح ، مناقض لكل ما يعرفه من سجاياها . قل لها إنني من أجل ذلك عصيت أمرها بعض الشيء . يحدوني الأمل أن تكون قد ظلت على عهدي بها ميالة لأن ترى العدل آخذاً مجراه . اذهب وقل لها كل ذلك . . »

ووضع الشاب نصف ريال في يد الغلام ، فتطلع إليه الغلام لحظة بأعين تلتمع خبثاً في وجه ذكي متسخ ، ثم انطلق يعدو ، حتى أتى السيدة في قليل من الريب ، ولكن دون ارتباك ، فلمس طرف قبعته التي استقرت على قفاه ، ونظرت إليه السيدة في برود لم يشبه أي عطف أو عداء . قال لها :

– « سيدتي . . إن السيد الذي يجلس على المقعد الآخر أرسل معي إليك أغنية ورقصة . . فإذا كانت سيدتي لا تعرف هذا الشاب ، وكان يحاول التطفل ، فلتقل كلمة ، فأنادي الشرطي في دقائق . . وإذا كنت تعرفينه ، وكان على خلق ، نثرت بين يديك طاقة الحب التي أرسلها . . »

وبدا على محيا السيدة أثر طفيف من الشوق ، فقالت في صوت حلو رزين ، يلف ألفاظها في غلالة من التهكم الخفي .

– « أغنية ورقصة . .! هذا نمط جديد في الشعر العاطفي على ما أظن . .! لقد سبق لي أن عرفت هذا السيد الذي أرسلك . لذلك أعتقد أن استدعاء الشرطي لا محل له ، ولك أن تؤدي رسالتك المغنية الراقصة ، ولكن لا ترفع عقيرتك بالغناء ، فالوقت ما زال مبكراً لمثل هذا العرض في الهواء الطلق ، وقد نسترعى الانتباه » . .

قال الغلام وقد عرته هزة من فرعه إلى قدمه :

www.alkottob.com

- «أنت تعرفين ما أقصد يا سيدتي . . وهو يقول انه قد أعد في هذه الحقيبة كل شيء للرحيل إلى سان فرانسيسكو ، ثم إلى آلسكا لصيد الوعول . . . ويقول انك أمرته ألا يكتب إليك أو يحوم حول بابك ، فاضطر إلى هذه الوسيلة ليوضح لك الأمر . ثم يقول انك أسقطته من حسابك كأنه ماض قديم ، وأنك لم تعطه فرصة للتملص من هذا القرار ، وانك صفعته صفعة لم توضحي أسبابها على الإطلاق!»

ولم ينقص ذلك الشوق الطفيف الذي جد على عيني الفتاة ، ولعل مرده إلى صياد الوعول وابتكاره هذا في التراسل ، واحتياله للتغلب على أوامرها الصريحة بتجنب وسائل الاتصال المألوفة . وثبتت بصرها على تمثال يقف حزيناً في الحديقة المهوشة ، ثم قالت للرسول :

- «قل للسيد إنني لست في حاجة إلى أن أكرر له مثلي العليا! إنه يعلم ماذا كانت عليه ، وما لا تفتأ عليه حتى الآن . وأهم ما فيها - إزاء الموقف الحاضر - الصدق والوفاء المطلق . قل له إني فحصت عن قلبي بقدر ما يستطيع إنسان أن يفحص عن قلبه ، فعرفت حاجاته ، كما عرفت مكامن الضعف فيه . وذلك هو السبب الذي أرفض من أجله الاستماع إلى توسله ، على أي وجه جاء . انني لم أبن إدانته على وشاية أو شبهة ، ولذلك لم أواجهه بأي اتهام . ولكن ما دام مصراً على سماع ما لابد أنه يعرفه تماماً ، فيمكنك أن تنقل إليه تفاصيل الموضوع . .

قل له إنني في تلك الليلة دخلت المشتل من بابه الخلفي لأقطف وردة لأمي ، فرأيته هو والمس أشبرتون تحت شجرة القرنفل ، وكان المنظر بديعاً ، ولكن وضعهما وتلاصقهما كانا من الوضوح والفصاحة بحيث لا يتطلبان أي ايضاح . وتركت المشتل ، وتركت الوردة في الوقت نفسه ، كما تركت من كنت أظنه مثلي الأعلى . وتستطيع الآن أن تحمل هذه الأغنية والرقصة إلى السيد الذي أرسلك . إلى مستورد المغنيات والراقصات»!!

قال الغلام :

«لقد وعيت كل ما قلت إلا كلمة لم أفهمها . . هذا التلا . . .

www.alkottob.com

التلاصق ، ماذا يكون . . ؟ »

– « يمكنك أن تسميه التجاور ، أو إذا شئت الاقتراب من شخص ما أكثر من اللازم ، ولاسيما إذا كان الشخص المقترب يزعم نفسه عنواناً للفضائل! »

وانفلت الحصا تحت أقدام الصبي وهو يركض حتى يقف بجانب المقعد الآخر ، فتسائله عين الشاب في نهم شديد عما كان ، فتلتمع عين الصبي في غيرة المترجم عما لا يهمه ويقول :

– « تقول السيدة إنها تدرك أن الفتيات يستسلمن سريعاً إلى الشبان الذين يديرون رءوسهن بقصص الخيال ، وهذا هو السبب الذي من أجله ترفض الاستماع إلى نعومة أحاديثهم من جديد . وتقول إنها فاجأتك تعانق بغير حق كيسا من القطن الأبيض في مشتل الزهور ، وانها عندما دخلته عفواً لتقطف زهرة وجدتك تعتصر بين ذراعيك الفتاة الأخرى . وتقول إن هذه كانت متعة حلوة لك ولاشك ، ولكنها أصابتها هي بالغثيان . وتقول انه من الأفضل لك أن تنصرف إلى عملك وتلحق بالقطار » .

وصدر عن الشاب صفير خافت ، ثم أشرقت عينه بفكرة طارئة ، فدس يده في جيب سترته الداخلي ، ثم أخرج حفنة من الرسائل ، واختار واحدة منها ، ناولها للصبي ومعها ريال فضي أخرجه من جيب الصدار ، وقال له :

– « أعط هذه الرسالة للسيدة واسألها أن تقرأها ، وقل لها إن هذه الرسالة ستجلو لها الموقف دون شك . وإنها لو أشربت ادراكها للمثل العليا ، بلمحة من الثقة ، لكان من الممكن أن تتجنب كثيراً من الحسرات . قل لها إن الوفاء الذي تؤمن به لم يتزعزع قيد شعرة ، وانني في انتظار الجواب » .

ووقف الرسول أمام السيدة يقول :

– « يقول السيد إن حمل الذنوب قد ألقى على عاتقه دون مبرر . كما يقول إنه ليس فتى رقيعاً يتسكع وراء النساء ، وإنك يا سيدتي عندما تقرأين هذه الرسالة ، ستجدينه مبرءا من كل عيب . . »

www.alkottob.com

ونشرت الفتاة الرسالة في ارتياب ، فقرأت فيها :

- « عزيزي الدكتور أرنولد

أود أن أشكرك على معونتك الكريمة لابنتي ، تلك المعونة التي صادفت وقتها مساء الجمعة الماضي ، عندما خرت مغشياً عليها في مشتل مسز والدرون من علة قلبها القديمة . ولو أنك لم تدركها قبل أن تقع ولم تمنحها الرعاية اللازمة لكان من المحتمل أن نفقدها . وسأكون سعيداً لو زرتنا ، وأخذت على عاتقك العناية بها . .

شاكر فضلك : « روبرت أشبرتون »

وطوت الفتاة الرسالة وناولتها للغلام . .

وقال الرسول على الفور :

- « إن السيد يطلب جواباً . فماذا أقول له . . ؟ »

وومضت عينا الفتاة فجأة ، ومضة مشرقة ، بسامة ، مخضلة بالدموع ، ثم ضحكت ضحكة سعيدة مرتعشة وهي تقول :

- « قل لهذا الفتى الجالس على المقعد الآخر إن فتاته في شوق إليه » . . .

www.alkottob.com

اكسير الحب

يقع «مخزن عقاقير المصباح الأزرق» في حي متواضع في أرباض المدينة . وهذا المخزن لا يعترف بأن مهنة الصيدلة يتسع صدرها لبيع العطور والتحف الصغيرة ، والمياه الغازية[١] . ولو انك طلبت منه دواء شافياً للصداع ، فلن يعطيك بدلاً منه قرصاً من أقراص الحلواء .

ومخزن المصباح الأزرق فوق ذلك يحتقر اتجاهات الصيدلة الحديثة نحو توفير العمل والعامل ، وهو يحضر أدويته بنفسه ، ويستخلص الصبغات من الجواهر بنفسه ، وما زال يصنع حبوب الدواء بطرقه البدائية ، ويجففها بالذرور ، ويعبئها في علب مستديرة من الورق!! ويقع المخزن على ناصية في الشارع يتجمع عندها أسراب من الأطفال في ثياب زينتهم الرثة ، يمرحون ويلعبون ، ويرشحون أنفسهم لأدوية السعال في المخزن المجاور!!

وكان ايكى شوينستين صاحب النوبة المسائية في مخزن المصباح الأزرق ، وكان صديقاً روحياً لعملائه أجمعين ، فإن قلب الصيدلية في هذه الأحياء المتواضعة لم يكن من حجر . وكان صيدلياً كما ينبغي أن يكون ، مستشاراً ، وناصحاً ، ومستودع أسرار ، ومبشراً قادراً ، وصديقاً وفياً ، علمه يحترم ، وحكمته الخفية توقر ، ودواؤه في الأغلب يدلق في بالوعة الشارع دون أن يذاق ومن أجل ذلك كان ايكى بأنفه المحبب المبقع ، وجسمه الهزيل المقوس تحت حمل العلم والمعرفة ، معروفاً في جوار المصباح الأزرق ، مرغوباً في نصحه وتوجيهه على الدوام .

وكان ايكى يعيش في غرفة مفروشة في مسكن مسز ردلز على بعد

١ - مخازن العقاقير في الولايات المتحدة، وهي غير الصيدليات، لا تبيع العقاقير المألوفة فقط، ولكنها تتداول بيع الأطعمة الجافة والحلوى والمستلزمات اليومية للبيت.

www.alkottob.com

ناصيتين من مخزن العقاقير ، ينام فيها ويفطر . وكان لمسز ردلز بنت تدعى روزى . وما من داع للف والدوران ، فان ايكى أحب روزى حب عبادة ، كما لابد أن تكون قد حدست . فقد صبغت كل أفكاره ، وأصبحت في عينه الخلاصة المركبة لكل ما هو نقي ونفيس في عرف الكيميا ولم يعد بين ذخائر عقاقيره ما يمكن أن يناظرها في النفاسة والنقاء . ولكن ايكى كان خجولاً ، والخجل والخوف مطايا لا تنال عليها الآمال ، ومذيبات ضعيفة تستعصي فيها أماني الهوى على الذوبان . لقد كان ايكى في صميم عمله كائناً ممتازاً ، دقيق الوعي للقيم والمعارف ولكنه خارج هذه الدائرة تهن أوصاله ، ويكف بصره ، ويهيم على وجهه بثيابه الفضفاضة المبقعة بالمحاليل الكيميائية ، الفواحة بروائح المر وفاليريانات النوشادر[1] .

وكان شانك ماك جوان هو الذبابة التي وقعت لايكى في طبق العسل . فان مستر ماك جوان كان يجاهد من ناحيته هو الآخر ليحظى بالبسمات المتوهجة التي يلفظها ثغر روزى . ولكنه كان أبصر من صاحبه بالهدف ، وأشد منه توفيقاً في اصابته . وكان مع ذلك صديقاً لايكى وعميلاً من عملائه . وكثيراً ما جاء إلى المصباح الأزرق بكدم أو رض يبتغي علاجه بصبغة اليود ، أو جرح يضمده بالمشمع اللصاق بعد ليلة بهيجة في الأزقة .

وهبط ماك جوان في أصيل يوم من الأيام على المصباح الأزرق بهدوئه وبساطته المألوفين ، فجلس على أحد المقاعد ، مؤدباً ، منبسط الأسارير ، تبدو على وجهه الطيبة في غير ضعف ، والعزم الذي لا يلين .

وعندما أتى صديقه بهاوونه[2] ، وجلس قبالته يطحن قطعة من الجاوى ، قال له :

«ايكى . أعرني سمعك . يلزمني دواء ، ولعلي أجد عندك ما في حاجة إليه»

وأنعم ايكى النظر في محيا مستر ماك جوان ، باحثاً عما اعتاد أن يجده فيه من آثار الشجار ، ولكنه لم يجد شيئاً . فقال له آمراً :

---

١ - الفاليريانا أو حشيشة النهر مادة طبية لها رائحة كريهة.

٢ - الهاون والهاوون ما يدق فيه الدواء.

www.alkottob.com

– «اخلع سترتك ، أظنك طعنت بين ضلوعك بسكين . لقد طالما أخبرتك أن هؤلاء الاسبانيين سيقضون عليك» .

وابتسم مستر ماك جوان ، ثم قال :

– «لا عليك منهم ، فمالي بأي منهم شأن اليوم» .

ولكنك كدت تصيب في تشخيص موضع العلة ، فهي حقيقة تحت السترة ، وبين الضلوع! أتعلم يا ايكى أننا – روزي وأنا – نعتزم الهرب والزواج الليلة ؟»

كانت سبابة ايكى اليسرى مثنية على حافة الهاون لتثبيته ، فدقها دقة عنيفة بيد الهاون ، ولكنه لم يشعر لها بألم ، وما هي إلا لحظة حتى استحالت ابتسامة المستر ماك جوان إلى نظرة تهجم وارتباك ، واستمر فيما كان يقول :

– «هذا إذا ظلت على عزمها إلى أن يحين الموعد ، فنحن منذ أسبوعين نتهيأ للفرار ، وقد تقول لي في صبح اليوم أنها ستفعل ، فإذا أقبل المساء نكصت ، وقد اتفقنا على الهرب الليلة ، وظلت روزى على رأيها يومين كاملين ، ولكن بيننا وبين الموعد خمس ساعات ، وأخشى أن تشطب اسمي في آخر لحظة قبل بدء السباق» .

قال ايكى : «ولكنك ذكرت لي أنك في حاجة إلى دواء» .

وبدا على وجه ماك جوان شيء من الحرج والضيق ، لم يألفه وجهه من قبل ، وراح يلف ورقة إعلان عن دواء ويحيط بها أصبعه دون جدوى وهو يقول :

– «إنني لن أدع هذه العقبة تقف في سبيلي ولو ضحيت بمليون من الدولارات . لقد استأجرت شقة في هارلم[1] ووضعت فيها الاقحوان على المنضدة ، وتركت قدراً تغلي على النار ، واتفقت مع قسيس أن يستعد لاستقبالنا في منزله في التاسعة والنصف . ويجب أن ينفذ ما قررناه ، وإذا لم تغير روزى رأيها من جديد فـ . . .»

وسكت مستر ماك جوان قبل أن يكمل ، وقد افترسته الشكوك

وقال ايكى معقباً :

– «ولكنني لا أرى حتى الآن موضعاً لهذا الدواء الذي تحدثت عنه ، أو

---

١ – حي من أحياء الزنوج في نيويورك.

www.alkottob.com

موجباً لتدخلي في الموضوع »!

قال الراغب في الزواج ، منهمك في تنظيم حججه : « إن والد روزى ، ريدل العجوز لا يحبني بعض الشيء ، ومنذ أسبوع وهو يحرم على ابنته أن تخرج من بابها معي ، ولو لم يخش أن يفقد نزيلاً من نزلائه لطردني منذ زمن طويل . إني أكسب عشرين ريالاً في الأسبوع ، وروزى لن تندم أبداً على الهرب من المزبلة التي تعيش فيها مع شانك ماك جوان » .

قال ايكى : « أرجوك معذرة يا شانك ، فعلي أن أحضر دواء سيطلب مني في الحال » .

ورفع ماك جوان نظره إليه فجأة وقال : « قل لي يا ايكى ، أما عندك من دواء ما . . مسحوق ما - مثلاً ، يجعل فتاة تذوب في حبك إذا جرعتها إياه ؟ »

وزم ايكى شفته العليا إلى أنفه باحتقار العالم الممتاز ، ولكن قبل أن يجيب ، استأنف ماك جوان ما كان يقوله :

- « لقد أخبرني تيم لاسى أنه حصل ذات مرة من عطار على دواء لهذا النوع ، وأعطاه لحبيبته في كأس من الشراب ، ومنذ أول جرعة توجته على قلبها ملكا ، ونظرت إلى من سواه نظرتها إلى نكرات ، وتزوجها في أقل من أسبوعين » .

وما كان أقوى وأشد سذاجة شانك ماك جوان ، ولو أن شخصا آخر في مكان ايكى ، أعرف منه بوزن الرجال لرأى أن هذا الهيكل الغليظ مشدود على خيوط دقاق . وككل قائد حازم مقبل على غزو أرض العدو ، أراد أن يحتاط لكل مظنة من مظان الفشل .

ومضى شانك والامل يراوده : « أحسب لو أنه أتيح لي مسحوق مثل هذا أعطيه لروزى ، عندما أراها الليلة على العشاء ، لحلت بينها وبين أن تنكث ما عاهدتني عليه ، وما أظنها في حاجة إلى ثلة من البغال لجرها إلي ، ولكن النساء أقدر على ركوب المركبات منهن على الجري في ميادين السباق ، ولو أن الدواء يعمل فيها ساعتين ليس إلا ، لبلغت منه ما أريد » .

وتساءل ايكى : « ومتى تكون هذه الحماقة التي تدعوها بالفرار ؟ »

www.alkottob.com

قال مستر ماك جوان : «في التاسعة مساء ، وسيكون العشاء في السابعة . وتذهب روزى إلى غرفتها في الثامنة زاعمة أنها أصيبت بصداع ، وفي التاسعة يسمح لي العجوز بارفنزانو بدخول رحبة بيته الخلفية ، حيث توجد فجوة في سياج بيت ريدل المجاور ، وأقف تحت نافذة روز ، وأعينها على النزول من سلم الحريق . ويجب أن نبكر ما استطعنا حتى لا يفوتنا موعد القسيس . إن الأمر كما ترى يسير إذا لم تحزن روز عند اعطاء إشارة السباق . فهل تستطيع يا ايكى أن تتحفنى بشيء من هذا الدواء ؟»

وراح ايكى شوبنستين يحك أنفه ببطء ، ثم قال :

– «شانك . ان أدوية من هذه الأنواع لا يتداولها الصيادلة إلا بمنتهى الحرص والاحتياط ، وليس من بين معارفي إلا إياك من أستطيع ائتمانه على هذا النوع من الدواء ، ومن أجلك أنت سأصنعه ، وسترى كيف يجعل روزى تنظر إليك» .

ومضى ايكى إلى ما وراء مائدة التحضير ، فسحق قرصين هشين من أقراص المورفين ، يحتوي كل منهما على ربع قمحة ، وأضاف إلى المسحوق قليلاً من سكر اللبن ليزيد من حجمه ، ولفه بعناية في ورقة بيضاء . ولو أن شخصاً بالغاً أخذ هذا المقدار لاستغرق في نوم عميق دون خطر على حياته . وأعطى الورقة لماك جوان ، وطلب منه أن يذيبه في سائل ما إذا استطاع ، وتقبل الشكر القلبي من العاشق المغوار .

ويبدو في عمل ايكى من دهاء إذا عرفنا ما فعل في أعقاب ذلك ، فقد أرسل رسولاً إلى مستر ريدل يفشي فيه أسرار الخطة التي أعدها مستر ماك جوان للفرار مع روزى . وكان مستر ريدل رجلا بدينا ، أحمر الوجه ، ناري المزاج .

وقال لايكى :

– «إني شاكر لك ، وسأريك ما أصنع بهذا الارلندي المتسول . إن غرفتي تعلو غرفة روزى تماماً ، وسآوي إليها بعد العشاء ، ومعي بندقيتي عامرة ، وانتظر ما يكون ، وإذا دخل رحبة بيتي فسأخرجه منها في سيارة اسعاف بدلاً من أريكة زفاف» .

www.alkottob.com

وأحس ايكى وهو يتخيل روزى نائمة نومها العميق الطويل تحت سنابك المورفين ، والوالد المتعطش للدم الذي أنذر في الوقت المناسب ينتظر غريمه شاكي السلاح . . أحس أن منافسه قد أشرف على الهزيمة عن يقين .

وظل طوال الليل في «مخزن عقاقير المصباح الأزرق» ساهراً ، يؤدي عمله ، وينتظر ما يتأتى له من أنباء المأساة ، ولكن انتظاره ذهب أدراج الريح .

ولم يكد زميله الذي يشرف على المخازن نهاراً يجيء في الثامنة من صباح اليوم التالي ، حتى أسرع ايكى إلى بيت مستر ريدل ليعرف ما كان . ويا لله! انه ما كاد يغادر باب المخزن حتى وجد شانك ماك جوان يقفز من سيارة عامة ويصافحه بحرارة . . بابتسامة الظافر وفرحة النشوان! » .

وقال شانك بصوت رجل يعيش في الجنة :

– «لقد انتهينا ، وقد هبطت روزى من سلم الحريق في الوقت المحدد بالثانية ، وكنا في بيت القسيس في التاسعة والنصف وربع الدقيقة ، وهي الآن في مسكننا ، وقد طهت لي البيض هذا الصباح في قميصها الأزرق . يا الهي! كم أنا سعيد! يجب أن تزورنا يا ايكى يوما ما ، وتشاطرنا الطعام . لقد حصلت على عمل بجوار الجسر ، وهأنذا في طريقي إليه الآن » .

وتلعثم ايكى وهو يسأل : «الـ . . الـ . . المسحوق ؟ » .

قال شانك مقطبا :

– «أوه . . هذا المسحوق الذي أعطيتني اياه ، إليك ما حدث : لقد جلست على مائدة العشاء البارحة في منزل ريدل ، ونظرت إلى روزى ، وقلت لنفسي : شانك ، إذا كنت تريد أن تحصل على الفتاة فاسلك إليها الطريق المستقيم ، ولا توقع فتاة مهذبة مثلها في شباك الختل والخداع . واحتفظت باللفافة التي أعطيتنيها في جيبي ، ثم وقعت عيني على طرف ثالث كان حاضرنا ، فقلت لنفسي إنه ينقصه الحب الذي ينبغي أن يشمل صهره المنتظر ، فانتظرت حتى سنحت لي الفرصة ، ووضعت المسحوق في قهوة ريدل العجوز ، وهذا كل شيء »!

www.alkottob.com

اله المال

نظر أنتونى روكوول العجوز المتقاعد ، وصاحب مصانع روكوول لصابون أريكا ، من نافذة المكتبة ، في قصره القائم بالشارع الخامس ، وتجهم ، فقد كان جاره من الجانب الأيمن : ج . فان شلاياية سافولك جونز النبيل المعروف في الأندية ، خارجاً من بيته متجهاً إلى سيارته المنتظرة ، رافعاً أنفه في حركة اشمئزاز وهو ينظر إلى الواجهة الأمامية من قصر الصابون ، وتماثيلها ذات الطراز الايطالي العتيق .

وعلق ملك الصابون السابق على هذه النظرة قائلاً : «حذار أيها الصنم العاطل! إن آلهة الفنون التسعة سيمسخونك أيها العجوز المجفف المتجمد ان لم تلزم حدك ، وسأطلي هذا البيت بالأحمر والأبيض والأزرق في الصيف التالي ، وأرى إن كان ذلك سيرفع أنفك الهولاندي إلى أعلى وأعلى!»

ثم اتجه انتونى روكوول الذي لم يعترف بالأجراس قط إلى باب مكتبته ، وصاح «مايك . .!» بنفس الصوت الذي كان يوماً ما يسقط السماء كسفا في مراعي كناس .

وقال انتونى للخادم الذي لبى نداءه :

– «قل لولدي أن يمر بي قبل أن يغادر البيت» .

وعندما حضر روكوول الشاب إلى المكتبة نحى العجوز الجريدة التي كان يقرؤها ، ونظر إلى ولده وعلى وجهه الضخم الناعم الأحمر عبوس مشوب بالعطف ، ثم سوى شعره الأبيض بيد ، وشخشخ المفاتيح في جيبه بالأخرى ، وقال :

– «رتشارد . . كم تدفع في الصابون الذي تستعمله ؟»

كان رتشارد قد عاد من كليته ، ولما يمض عليه أكثر من ستة أشهر ، ولم يكن قد وضع بعد في الميزان أباه هذا الممتلئ بالمفاجآت ، شأن العذراء في أول

www.alkottob.com

حفل تشترك فيه ، فأذهله السؤال نوعاً ما وأجاب :

- « أظنني أدفع في الدستة ستة دولارات يا أبي »

- « وملابسك . . ؟ »

- « أعتقد أنها تكلفني في العادة ستين ريالا » .

قال أنتوني في حزم : « إذن فأنت مهذب . لقد سمعت عن شبان يستهلكون صابوناً بأربعة وعشرين دولاراً ، وأكثر من مائة في الثياب . انك تستطيع أن تنفق من المال مثل ما ينفق أي واحد منهم ، ولكنك تلزم نفسك بالحزم والتوسط . . إنني أستعمل صابون اريكا المعروف ، لا عن عاطفة وحسب ، ولكن لأنه كذلك أنقى صابون صنع . . وأنت متى دفعت في القطعة الواحدة أكثر من عشرة دوانق ، فإنك لا تشتري إلا الرديء من العطور والأسماء ، ولكن مع ذلك فالخمسون دانقا التي تدفعها في القطعة تلائم شابا من جيلك ، ومركزك وظروفك . . وكما قلت لك أنت شاب مهذب . إنهم يقولون إن خلق شاب من هذا النوع يحتاج إلى ثلاثة أجيال ، وهم على ضلال ، فإن المال قادر على خلقه بسرعة الصابون في محو الاوضار ، وقد خلق منك واحدا ، وكاد يفعل معي ، لولا أني أقارب في البذاءة والفظاظة وسوء الخلق جاري العجوزين الهولنديين اللذين يؤرق لياليهما اني اشتريت بيتاً من بيتيهما . . »

وقال روكوول الصغير في شيء من الوجوم :

- « ثمة أشياء لا يمكن نيلها بالمال . . »

وصعق انتوني العجوز من ملاحظة ولده فقال :

- « لا تقل هذا . إني أراهن بكل مالي وفي كل وقت على قدرة المال . ولقد قرأت دائرة المعارف من الألف إلى الياء ، باحثاً عن شيء لا يمكن أن تشتريه بالمال . ولما كنت أتوقع استئصال زائدتي الدودية في الأسبوع المقبل ، فإنني أراهن على المال ضد مبضع الجراح . قل لي شيئاً واحداً يعجز المال عن شرائه . . ؟ »

وأجاب رتشارد في شيء من الضيق :

- « كمثل أقول إن المال لا يستطيع أن يدخل المرء في الدوائر العليا للمجتمع . . »

www.alkottob.com

وصرخ بطل أصل الشرور (المال) قائلاً :

– «أو . . هو . .! أتظن ذلك . . ؟ أتستطيع أن تقول لي أين كانت دوائرك هذه تكون ، لو أن آستور[1] لم يجد أجرة سفره إلى أمريكا على ظهر سفينة» ؟

وتنهد ريتشارد .

فقال العجوز بأقل حدة وقد لاحظ تنهد ولده :

– «هذا الذي كنت أعنيه ، وما سألتك الحضور إلا من أجله . إن شيئاً ما يجري على غير هواك يا بني ، واني لألمحه منذ أسبوعين ، فقل لي ما هو . وأظن أني أستطيع أن أضع يدي على أحد عشر مليوناً في سواد ليلة وبياض نهار ، بخلاف الأملاك الثابتة بطبيعة الحال . فان كان كبدك ما يضنيك ، فثمت سفينة في الخليج تحت أمرك مستعدة للسفر إلى جزر الهند الغربية في الحال . .»

– «إن ظنك لم يخطئ يا أبي ، ولم تبعد عن كبد الحقيقة بكثير . .»

قال أتنوني بلهفة : «آه . . ما اسمها . . ؟»

وراح ريتشارد يذرع المكتبة جيئة وذهاباً ، فقد آنس من هذا الاب الفظ العجوز من الصداقة والعطف ما بعث الثقة في نفسه .

وتساءل أنتوني العجوز :

– «لم لا تخطبها . . ؟ إنها ستدفع إليك ، فلديك المال والوجه الحسن ، وأنت شاب مهذب ، ويداك طاهرتان ، وليس عليهما من صابون أريكا أثر ، ثم أنك متعلم تعليما عاليا ، وما أظنها تضع ذلك في الحساب» .

قال ريتشارد : «لم تتح لي فرصة لخطبتها . .»

قال أنتوني : «عليك أن تخلق الفرصة . خذها إلى نزهة في حديقة ، أو على عربة قش ، أو تمش معها من الكنيسة إلى البيت . . فرصة . .! هه . .!»

– «إنك قد لا تعرف الطاحونة الاجتماعية يا أبي ، إنها جزء من مجرى الماء الذي يحركها . ان كل ساعة وكل دقيقة من وقتها تخضع لنظام مقرر قبل أيام . يجب أن أنال هذه الفتاة يا أبي ، أو تصبح هذه المدينة في عيني مستنقع وحول إلى الأبد! وحتى الكتابة إليها لا قبل لي بها . .!»

---

١ – من كبار أصحاب رؤوس الأموال وتجار الفراء في أمريكا في القرن الثامن عشر.

www.alkottob.com

قال العجوز : «أتريد أن تقول لي أنك ، مع كل ما أملكه من مال لا تستطيع أن تحصل لنفسك على ساعة أو ساعتين من وقت فتاة . . ؟

– «لقد أهملت الأمر مدة طويلة ، وهي تزمع السفر إلى أوروبا ظهر بعد غد ، لتقيم هناك سنتين . ولن أراها لبضع دقائق في الغد ، فهي الآن عند عمتها في لارشمونت ، ولا أستطيع الذهاب إليها هناك ، ولكنهم سمحوا لي أن أنتظرها بعربة في المحطة المركزية الكبرى ، مساء غد في قطار الثامنة والنصف ، فنسير خببا في شارع برودواى إلى مسرح والاك ، حيث تكون أمها في انتظارها بردهة المسرح ، هي وجماعة يرافقونها إلى مقصورة . أفتظن انها تصغي لي إذا أعلنت لها حبي في ست دقائق أو ثمان تحت مثل هذه الظروف . . ؟ كلا . . وأية فرصة أستطيع خلقها في المسرح أو فيما بعده . . ؟ لا شيء . . كلا يا أبي ، هذه عقدة لا يستطيع حلها مالك . محال أن نشتري دقيقة واحدة من الزمن بالمال ، والا فلو أمكن ذلك لكان الأغنياء أطول الناس أعماراً . ان الأمل مقطوع في التحدث إلى مس لانترى قبل أن تبحر . . »

قال أنتوني العجوز في بشر :

«ليكن يا ولدي . . تستطيع أن تذهب الآن إلى ناديك ، وإني لسعيد انه ليس كبدك ما يضنيك ، ولكن لا تنس أن تحرق بعض أعواد من الصندل في هيكل الاله العظيم «مازوما» بين الحين والحين . انك تقول ان المال لا يشتري الزمن . وأنت لا تستطيع بالبداهة أيا كان الثمن أن تأمر تاجر الجلود أن يرسله إليك على عنوانك في علبة ، بيد أني رأيت الوقت – هذا الأب العجوز – تصاب أعقابه برضوض شنيعة وهو يمشي بين حفائر الذهب . . ! »

وفي تلك الليلة جاءت العمة ايلين ، بكل رقتها وعواطفها وتجاعيدها وتنهداتها وضيقها بما تحمل من كنوز المال ، جاءت إلى بيت أخيها أنتوني ، فوجدته يقرأ جريدته المسائية ، وبدآ يتباحثان في موضوع متاعب المحبين .

قال الأخ أنتوني وهو يتثاءب :

– «لقد قال لي كل شيء فأنبأته أن رصيدي كله تحت أمره . . ولكنه راح يحتقر المال ، وقال انه لا يغنى ، وأن قواعد المجتمع لا يمكن زحزحتها متراً بفريق مكون من عشرة من أصحاب الملايين . . »

www.alkottob.com

وتنهدت العمة ايلين وهي تقول :

– « أنتوني . . ليتك تقل من هذا التفكير الشديد في المال . . إن الثروة تنعدم قيمتها عندما توضع مع الحب الأكيد في الميزان . فالحب أقوى الأقوياء . لو انه فقط بكر في مفاتحتها بالأمر ، لما استطاعت أن ترفض ولدنا ريتشارد ، ولكني أخشى الآن أن يكون الوقت قد فات ، فانه لن يجد فرصة لخطبتها ، ولن يستطيع ذهبك كله أن يجلب السعادة لولدك . . »

وفي الثامنة من مساء اليوم التالي أخذت العمة ايلين خاتماً ذهبياً قديماً غريب الشكل من كيس نخره العث ، وأعطته لريتشارد ، قائلة في توسل :

– « ألبسه الليلة يا ابن أخي ، فقد أعطتني أمك إياه ، قائلة انه يجلب الحظ السعيد في الحب ، وسألتني أن أسلمه إليك يوم تجد الفتاة التي تصادف هواك . . »

وتناول روكوول الشاب الخاتم باحترام ، وحاول أن يلبسه في خنصره فانزلق عليه حتى المفصل الثاني ووقف ، فخلعه ووضعه في جيب صداره ، فعل الرجل الرشيد ، ثم طلب عربته بالتليفون .

وفي الثامنة والثانية والثلاثين ، استخلص مس لانترى من وسط الزحام المتدفق في المحطة وقالت له :

– « يجب ألا نترك أمي والآخرين ينتظرون »

فقال ريتشارد للسائق في اخلاص :

– « إلى مسرح والاك بأسرع ما تستطيع . . ! »

وانسابوا كالريح في الشارع الثاني والأربعين إلى برودواى ، ومنها إلى منعطف يتلألأ بالأنوار ، يفصل بين مجالي الليل الهادئ ومغاني الغجر الوضاح . .

وفي الشارع الثالث والأربعين فتح ريتشارد أكرة الباب بسرعة ، وطلب من السائق الوقوف ، وقال معتذراً وهو يقفز إلى الشارع :

– « لقد وقع مني خاتم هو خاتم أمي وأكره أن أضيعه ، ولن أعوقك أكثر من دقيقة . . فقد رأيت أين وقع . . »

وفي أقل من الدقيقة عاد إلى العربة ومعه الخاتم .

ولكن خلال هذه الدقيقة ، وقفت أمام العربة سيارة أوتوبيس ، وحاول

www.alkottob.com

السائق أن يمرق من يسارها ، فوجد عربة نقل كبيرة تقطع عليه الطريق ، وعالج اليمين ولكن عربة نقل أثاث لم يكن لها محل هناك ، أعادته إلى حيث كان . وحاول أن يتقهقر فلم يجد مجالا ، فألقى الأعنة بين يديه ، وأدى من اللعنات ما يمليه عليه الواجب ، عندما وجد نفسه محاصراً بعدد لا أول له ولا آخر من العربات والخيول .

إن انسداد الطريق على هذه الوتيرة يحدث أحياناً في المدينة الكبيرة فيشل الحركة والتجارة .

وقالت مس لانترى بصبر نافد :

– «لماذا لا تسير . . ؟ إننا سنتأخر . .»

ووقف ريتشارد في العربة ، وأدار عينيه فوجد سيلا هائلا من العربات وعربات النقل وسيارات الاوتوبيس تملأ الفضاء الشاسع الذي يلتقي فيه الافينو السادس ببرودواى والشارع الثالث والأربعون ، وتزحمه بنفس الطريقة التي تزحم بها فتاة قطرها خمسة وستون سنتيمترا مشدا لا يزيد على خمسين . ومن كل الشوارع الجانبية كانت العربات ماضية بأقصى سرعتها وجعجعة عجلاتها ، لتلقي بنفسها في هذا البحر المتلاطم من العجل المشلول . . وتضاعف الضجيج بلعنات السائقين . وبدا أن حركة المرور في مانهاتان قد وقفت تماماً من هول الزحام ، ولاحظ أكبر معمر من سكان نيويورك ، الذين شهدوا الانسداد من منعطفات الطرق ، انه لم ير مثيلا له من قبل .

وقال ريتشارد وهو يعود إلى الجلوس :

– «إني آسف أشد الأسف ، ويبدو لي أننا انزرعنا هنا ، فلن ينفض هذا الزحام قبل ساعة ، إنها غلطتي ، فلو لم يقع مني الخاتم لـ . . .»

قالت مس لانترى : «دعني أرَ هذا الخاتم ما دام لا حيلة لنا فيما كان ، وما يهمني الأمر ، فاني أظن المسارح سخيفة على أي حال . .»

وفي الساعة الحادية عشرة من هذا المساء قرع شخص ما باب انتونى روكوول قرعاً خفيفا . . .

وكان أنتونى يرتدي قباء أحمر ويقرأ كتاباً عن مغامرات القرصان ، فصاح : «أدخل»

وكان الشخص هو العمة ايلين ، وقد بدت كملاك أشيب ، تخلف خطأ

www.alkottob.com

على وجه الأرض ، وقالت في حنان :

– «لقد انتهى الأمر يا أنتونى وأصبحا خطيبين ، وقد وعدت أن تتزوج من ولدنا ريتشارد . وقد حدث وهما ذاهبان إلى المسرح أن انسد الطريق ، فلم يخرجا منه إلا بعد ساعتين . . فلا تعد إلى الزهو بقوة المال مرة أخرى يا أخي . .! ان تميمة صغيرة من تمائم الحب الأكيد – خاتماً صغيراً يرمز إلى المحبة القدسية الخالدة – كان مفتاح السعادة لولدنا ريتشارد . . فقد وقع منه في الطريق ، وخرج يلتمسه ، وقبل أن يستأنفا المسير حدث الانسداد ، وكلم حبيبته ، وظفر بها في الوقت الذي انسد فيه الطريق . ان المال يا انتونى إذا قورن بالحب أصبح هباء »!!

وقال أنتونى العجوز :

– «حسنا . . اني سعيد بحصول الولد على ما أراد . . ولقد قلت له أني لن أبخل بالمال مهما بلغ في سبيل . . . »

– «ولكن أي خير يا أخي كان يرتجى من مالك . . ؟ »

قال أنتونى روكوول :

– «اسمعي يا أختي . . اني تركت القرصان في ورطة شنيعة ، فقد تخرقت سفينته ، وهو في قوة ادراكه لقيمة المال لا يريد أن يدعها تغرق ، فأرجوك أن تتركيني أكمل قراءة هذا الفصل »!

***

ولقد كان ينبغي أن تنتهي القصة عند هذا الحد ، وان شوقي إلى انهائها هنا يعادل شوقكم أيها القراء ، ولكن يجب قبل ذلك أن نغوص إلى قرار البئر بحثا عن الحقيقة .

ففي اليوم التالي جاء شخص أحمر اليدين ، بربطة عنق زرقاء ذات نقط بيضاء ، يسمي نفسه كيلى يطلب مقابلة أنتونى روكوول ، فقابله في المكتبة في الحال . .

وقال أنتونى ويده تمتد إلى دفتر الشيكات :

– «حسنا . . لقد كانت معجنة صابون أصيلة ، فدعنا نتحاسب ، لقد وصلك خمسة آلاف ريال . . ؟ »

قال كيلى :

www.alkottob.com

– «وقد دفعت ثلثمائة فوقها من مالي الخالص ، وقد اضطررت اضطرارا إلى مجاوزة الاعتماد . . وقد استأجرت معظم عربات النقل وعربات الركوب بخمسة ريالات للواحدة ، ولكن العربات الكبرى أخذت كل منها عشرة ريالات . وقد أصرت السيارات على عشرة والعربات ذوات الزوجين من الخيول على عشرين أو خمسة وعشرين . وقد ابتهجت لأن وليم برادى لم يشهد هذا الزحام ، وإلا لتمزق قلبه حسدا وكمدا ، وتصور أن هذا كله يحدث دون «بروفات» وان كل سائق يلتزم موعده إلى كسر الثانية . . ولو أن ثعبانا شاء أن يزحف إلى قاعدة التمثال القائم في الميدان لاقتضاه ذلك ساعتين» . .

قال أنتوني وهو يفصل الشيك :

– «إليك ألفا وثلثمائة دولار يا كيلى ، الألف الذي لك ، والثلثمائة التي دفعتها . . انك لا تحتقر المال يا كيلى . . أليس كذلك . . ؟»

قال كيلى : «أنا . . ؟ اني لو رأيت الرجل الذي اخترع الفقر لعلوته بالسوط» .

وعندما وصل كيلى إلى الباب ناداه أنتوني قائلاً :

– «هل رأيت خلال الزحام ، في أي مكان منه غلاما بدينا ، لا يرتدي ثيابا ما ، في يده قوس يريش منه السهام . . ؟»

قال كيلى في حيرة :

– «كلا لم أر أحدا على هذه الصورة ، ولئن كان كما تصف ، فلعل شرطيا قبض عليه قبل وصولي» . .

وقهقه أنتوني وهو يقول :

– «كنت واثقا أن الوغد الصغير لن يكون هناك ، وداعا يا كيلى . .!»

إنتهى الجزء الأول من المجموعة القصصية

أمنياتي بقراءة ممتعة

** معرفتي **

مطابع الأهرام ٦ أكتوبر ـ التجارية ـ مصر

www.alkottob.com

* معرفتي *
www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

www.alkottob.com

او.هنرى الملايين الاربعة

أو.هنرى (1862/1910) كاتب أمريكى ينتمى إلى طائفة الكتاب الصعاليك الذين نشأوا فى بيئات فقيرة.. وواجهوا مصاعب جمة وتنقلوا بين أعمال تافهة، موظفا فى مخزن للأدوية، ورساما فى مصلحة حكومية وناشر لمجلة فكاهية، وصرافا فى بنك، يختلس بعضا من عهدته فيقدم إلى المحاكمة ويهرب إلى أن تضبطه الشرطة، فيدخل السجن، وفى زنزانته يبدأ وهو فى الأربعين كتابة قصصه القصيرة، وبعد سنوات من خروجه يبدأ فى نشرها، ليصبح خلال السنوات الثمانى التالية، أكبر قصاص مقروء فى أمريكا.. لأن أحداثها كانت تدور فى الأزقة المنسية والغرف المفروشة فى أحقر الأحياء.. وتقدم نماذج بشرية تنتمى لأمريكا الأخرى! وفى هذه المجموعة نماذج من عالم القاص الصعلوك الذى صعد إلى القمة.. وهو فى الأربعين.. ولم يعش فوقها سوى ثمانى سنوات.. غادر الدنيا بعدها.

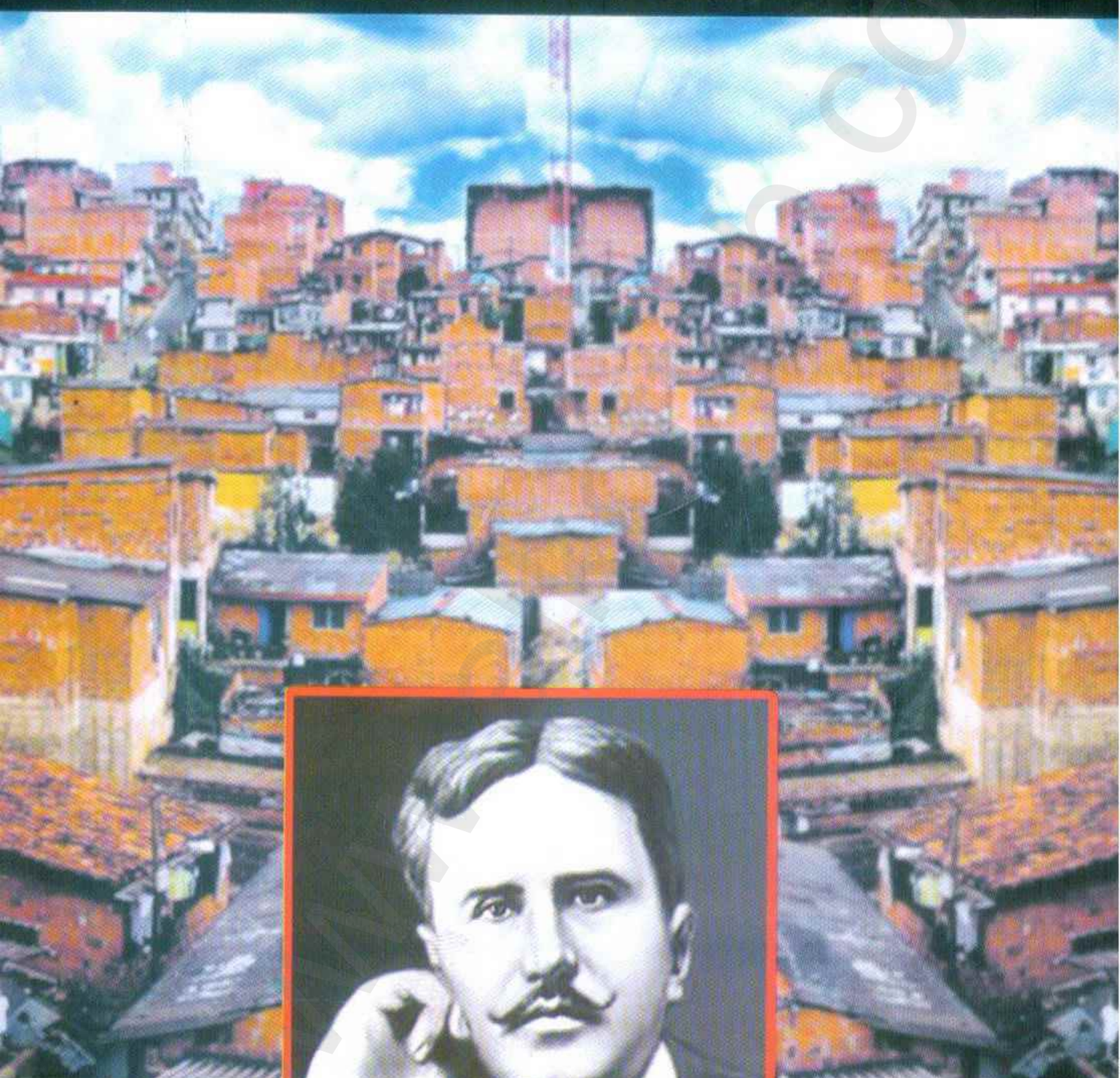

www.alkottob.com